



## Postcolonial Discourse in Walid Al-Sharafa's Novel "Heir of the Tombstones"

Asst. Prof. Dr. Mohammed Ridha Abd Al-Sattar Al-Awsi

College of Arts – University of Wasit

E-Mail: [malawsi@uowasit.edu.iq](mailto:malawsi@uowasit.edu.iq)

Received Aug14, 2026

Revised Aug 28, 2026

Accepted Sep16, 2026

Online October1, 2026

### ABSTRACT

If narrative is regarded as a "field of struggle" as proposed by Wallace Martin (Martin, 1998, p. 6), and if nations are essentially narratives, as Edward Said argues (Said, 2014, p. 83), then postcolonial discourse has sought to reclaim homelands whose history was erased (Hashima, 2023, Hadfnews, internet source), portraying the struggle of colonized peoples and their continuous resistance to colonial ideology. Specially its practices at various levels, particularly the cultural level (Ashcroft, 2010, p. 63). The word post, it doesn't mean the end of Colonial domination by withdrawal of invading armies at the time of new colonial emergence, which characterized more subtle and insidious to regaining control on the previous colonies, and control them politically, economically and culturally as described by the Senegalese President "Kwame Nkrumah" (ibid). The suffix post means, the moment follows the initial communication to a certain Nation of its Colonial Oppressor (Tyson, 2021, p. 439). This moment showed the keen to destruct the colonial continuous discourse, and undermine its claims and assertions through various practices. It does so by occupying the colonizer's language to reconstruct its historical presentation against the colonial discourse (ibid). They subsequently recognized the necessity of accomplishing all this in their own local or indigenous languages after reviving them and promoting writing in them (Ashcroft, 2010, p. 132). This became particularly evident in the Palestinian Arab novel after the Nakba of 1948 and until the present day, especially in the novel "Heir of the Tombstones" by Waleed Al-Sharfa, which allied with other Palestinian Arab novels in its resistance to colonial ideology and its various manifestations. The novel adopts a strategic discourse of resistance that demonstrates its awareness of the effectiveness of this strategy and explicitly articulates it in the words of the Prophet Solomon when he asked the jinn about speech. The jinn replied "The wind scatters it, and nothing remains". He then asked "What restrains it?"; the answer was "Writing" (Al-Sharafa, 2017, p. 7).

**Keywords:** Colonialism; Postcolonial Discourse, Universal Perspective, local Tendency, Diaspora, Hegemony, Cultural Imperialism.

### خطاب ما بعد الكولونيالية في رواية ( وراث الشواهد ) لوليد الشرفا

أ.م.د. محمد رضا عبد الستار الأوسي

كلية الآداب – جامعة واسط

[malawsi@uowasit.edu](mailto:malawsi@uowasit.edu)

### المخلص

إذا كان السرد "ساحة قتال" بحسب طروحات والاس مارتن (مارتن، 1998، 6) وأن الأمم قصص، وسرود وفقا لطروحات إدوار سعيد (2014، 83) فإن خطاب ما بعد الكولونيالية حاول استعادة الأوطان التي غيبتها التاريخ (حشمة، 2023، الانترنت، hadfnews) بوصفه كفاح الشعوب المستعمرة، ونضالها المستمر ضد إيديولوجيا الكولونيالية، وممارساتها على مختلف المستويات، ولاسيما الثقافية (أشكروف، 2010، 63)، من خلال توجيه طعونه إلى خطاب المركز الإمبريالي لتقويض إيديولوجيته المترسخة والمتوطدة في الذهن طبقا لطروحات تيرديمان وقلب ثنائياته (أشكروف، 2010، 121) لأن لفظة الـ (ما بعد) لا تعني بالضرورة انتهاء الهيمنة الكولونيالية بجلاء جيوشها الغازية، مع بروز الكولونيالية الجديدة التي بدت أكثر دهاء وتخفيا في إعادة السيطرة على المستعمرات السابقة، والتحكم بمصائر ها سياسيا واقتصاديا وثقافيا كما رأى الرئيس السنغالي كوامي نكروما (أشكروفت، 2010، 254) ولأن المقصود بلا حقة المابعد هي اللحظة التي تعقب الاتصال الأولي لأمة ما بمضطهدها الكولونيالي (تايسن، 2021، 439) مع اتسام تلك اللحظة بحرص الشعوب المستعمرة على تفكيك خطاب المستعمر، والعمل على تقويض مزاعمه وإدعائه عبر ممارسات عدة، بدأت بالاستحواذ على لغة المستعمر، لإعادة تمثيل ذاتها وتاريخ وجودها على نحو مضاد لما بدت عليه في الخطاب الكولونيالي، ثم أدركت ضرورة انجاز هذا كله بلغاتها المحلية أو الأصلية بعد إحيائها والحرص على الكتابة بها (أشكروفت، 2010، 131) وقد بدا هذا واضحا وجليا في الرواية العربية الفلسطينية بعد عام النكبة 1948، ولغاية اللحظة الراهنة، ولاسيما في رواية (وراث الشواهد) لوليد الشرفا التي تحالفت مع غيرها من الروايات العربية الفلسطينية في مقاومة إيديولوجية المستعمر ومواجهة خطاباته، والرد عليها بالكتابة؛ انطلاقا من وعيها بفاعلية هذه الاستراتيجية، وتأكيد هذا باستهلالها الذي جاء فيه أن النبي سليمان سأل عفريتاً من الجن عن الكلام فأجاب: تبده الريح فلا يبقى، فقال: ما قيده؟ قال: الكتابة (الشرفا، 2017، 7).

**الكلمات المفتاحية:** الكولونيالية، خطاب ما بعد الكولونيالية، النزعة الكونية، النزعة الأهلية، الشتات، الهجنة، الإمبريالية الثقافية

## المقدمة :

على الرغم من انتماء العرب واليهود إلى عرق واحد فقد أصر اليهود على المزج بين الدين والعرق ؛ لإشاعة تفوقهم بوصفهم شعب الله المختار لإنقاذ البشرية ، والدفاع عن حقهم في أن يكونوا قومية ، على وفق تراتبية تعلي من شأنهم ، وتحقير ما سواهم ؛ بعد أن وضعتهم في قمة الهرم ، وجعلت ما سواهم دونهم في الترتيب ( كنفاني، 2015، 76-77) فلقد حفلت الأعمال الأدبية اليهودية بشواهد المبالغة في امتداح الذات ، واحتقار الآخرين على أساس عرقي ؛ فبدا اليهودي بطلا خارقا مؤيدا بنصر الإله ( كنفاني، 2015، 84 ، 86) وبدا العربي وضيعا ، وجباناً ، وهمجياً ، وأمياً ، ولصاً ، وقتلاً للأطفال ، وغير إنساني ، وقذراً ، وديوثاً ( كنفاني، 2015، 8787 ، 91 ، 93 ، 94) وأن اليهودي هو البطل ، والإنساني ، والمُحق ، والمتفوق فكريا وبدنيا وحضاريا دائما ، والمؤهل الوحيد لقيادة الكون (كنفاني، 2015، 87) وأن الروايات الصهيونية التي كتبت بعد 1948 اتسمت بتمثيل البطل اليهودي المعصوم والمتفوق ، واحتقار الآخر / العربي (كنفاني، 2015، 89) ليتمكن الأدب الصهيوني من محاصرة أدب المقاومة العربي ، ومنع انتشاره خارج الأرض المحتلة ، وليقدم وجها ممسوخا ومشوها للمقاوم الفلسطيني والعربي ، بدلا من الوجه المشرق لمقاومتهما ( كنفاني، 2015، 72) مستعينا بسلاحين : الأول تمثيل دور الضحية في المذابح الهتلرية ، والثاني اللواذ بوعود التوراة بشأن أرض الميعاد(كنفاني، 2015، 90) ومنذ أواخر سبعينيات القرن العشرين استعمل النقاد الأدبيون مصطلح ما بعد الكولونيالية لوصف آثار الاستعمار على ثقافات المستعمرين ، ومجتمعاتهم وأساليب مناهضتها ، ومقاومتها على مستوى السياسة والاقتصاد ، وتمثيل الذات ( أشكروفت ، 2010، 283-284) مقابل الخطاب الكولونيالي بوصفه منظومة من المقولات التي مكنت الجماعات المهيمنة من فرض سيطرتها إلى جانب فرض معارف وقيم معينة على الجماعات الخاضعة لسيادتها ( أشكروفت ، 2010، 101) . كلمات مفتاحية : الكولونيالية، خطاب ما بعد الكولونيالية، النزعة الكونية، النزعة الأهلية، الشتات، الهجنة، الإمبريالية الثقافية.

## أولا- النزعة الأهلية :

لقد استندت الإيديولوجيا الكولونيالية إلى فلسفة النزعة الكونية (universalism) التي جعلت من ذاتها معيارا لكل البشرية بعد أن وسمت نفسها بالتفوق ، والآخر بالدونية على المستويات كافة سواء كانت علمية أم اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية أم أخلاقية ؛ إذ آمنت بتفوق المستعمرين بوصفهم مثالا لكل البشرية مقابل دونية المستعمرين ؛ ورأت أن ثقافة المستعمر هي الثقافة المتحضرة ، والرفيعة والمتقدمة ، وأن ذلك كله أسباب كافية لجعل المستعمرين مركزا للعالم ، وما سواهم هامشا تمثله شعوبا متوحشة ، ومتخلفة ، وهمجية ليس لها دين أو عادات أو تقاليد ؛ لأنها أقل من بشر ومن درجة أدنى ؛ الأمر الذي جعل العالم تحت مظلة تلك الإيديولوجية أمام ثنائية " نحن المتحضرين الطيبون الأمناء الخيرون الصادقون المستقيمون " وهم " المتوحشون ، المنحرفون ، الجبناء ، الشريرون ، الماكرون ، الهمجيون ، وكل ما يمكن أن يكون سلبيا ( تايسن ، 2021 ، 444) وقد أكد هذا الداعية الفرنسي المدافع عن الكولونيالية، جول هارمان، عام ١٩١٠ حين قال " إنه لضروري، إذن، أن نقبل كمبدأ ونقطة انطلاق حقيقة أن ثمة تراتبية بين الأعراق والحضارات، وأنا ننتمي إلى العرق والحضارة المتفوقين، مقربين مع ذلك بأن التفوقية، فيما تمنح (نا) حقوقاً، تفرض بالمقابل واجبات صارمة. إن المشروع الأساسية للفتح والغلبة على شعوب أصلانية تكمن في الإيمان بتفوقيتنا، لا الآلية والاقتصادية والعسكرية فحسب، بل الأخلاقية أيضاً. وأن كرامتنا وعزتنا لترتكزان إلى هذه الخصيصة، وهي ما يتبطن حقنا في أن نوجه بقية البشر ونقودهم ، وما القوة المادية سوى وسيلة إلى تلك الغاية " ( سعيد ، 2014، 87 ) لقد عمدت الكولونيالية إلى طمس ثقافات الشعوب المستعمرة ، والعمل على إنتاج صورة متخيلة لها طافحة بكل ما هو سلبى ، لفرض هيمنتها وإدامة سيطرتها عليها من خلال الغزو المادي للأقطار الذي كان أكثر عنفا وضراوة وجشعا ، ومن خلال الغزو الثقافي الذي مهد له العقلايون والليبراليون والحداثيون وادعوا أن الامبريالية كانت رسالة الحضارة المبشرة بخلاص العالم غير المتحضر ومارست نوعا آخر من العنف بإقامة تراتبية ثابتة بين الاشخاص والمعارف : المستعمر والمستعمر ، المتحضر والبدائي ، العلمي والخرافي ، المتطور والنامي وصار المستعمر الصورة السلبية المعكوسة من المستعمر ، وإفراغ العالم المستعمر من المعنى شرطا واجبا لإبراز العالم المستعمر مركزا

للكمال الحضاري ( غاندي ، 2121 ، 31 ) ومن هنا بات " الاستقلال وفقاً على البيض والأوروبيين ؛ وكان للشعوب الأدنى أو الخاضعة أن تُحكم فقط " ( سعيد ، 2014 ، 94 ) ما دامت الشعوب الأصلية متوحشة ، متخلفة ، وأن المستعمرين في مركز العالم ، وأنهم مثال لما يجب على البشر أن يكونوه ؛ بوصفهم الذات الحقيقية ، وأن الشعوب الأصلية هي "آخر" ، مختلف ، ومن الدرجة الأدنى وأقل من البشر ؛ تماشياً مع استراتيجية اختلاق الآخر (othering) التي قسمت العالم إلى نحن / المتحضرين ، وهم الآخر / المتوحشون ، وترسيخ اعتبار الثقافة الأوروبية معياراً لكل البشرية ، تحت مسمى النزعة الكونية (universalism) لمقابلة كل ما عداه من الثقافات الأخرى بالدونية والسلبية ( تايسن ، 2021 ، 442-443 )

وإذا كان الخطاب في الأصل كل وحدة كلامية أطول من جملة الحديث أو السرد ، أو التناول المطول والمفصل لأي موضوع متسم بطابع رسمي ( أشكروفت ، 2010 ، 139 ) فإن خطاب الكولونيالية التقى مع ثوابت الحركة الصهيونية التي تؤمن بتفوق العقل اليهودي وحرمة تعذيبه جسدياً (هلسا، 1995، 46) فالعلاقة بين المستعمر والمستعمر كانت قائمة على تمييزات ثنائية وعلاقة تراتبية ترفض بشدة الدخول في تبادلات عادلة ومتكافئة سواء كانت اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية ( أشكروفت ، 2010 ، 106 ) ولهذا لم تجد الشعوب المستعمرة سوى خيار النضال ضد اضطهاد إيديولوجيا "الآخريّة" التي جعلتهم شعوباً دونية ، وأقل إنسانية ؛ وذلك لاستعادة مكانتهم ، ورد الاعتبار لذواتهم أمام أعينهم ، وأعين الآخرين ، وإعادة تمثيل هويتهم وتاريخ وجودهم ، وثقافتهم من وجهة نظرهم بعد عقود من التهميش والاستلاب ومصادرة حقهم في تمثيل ذواتهم ( تايسن ، 2010 ، 445-446 ) ومن هنا بدت شخصية ( صالح بن سليمان ) الرئيسة والملقبة بـ (الوحيد) في رواية ( وارث الشواهد ) لوليد الشرفا على الضد من مما كانت عليه شخصية الفلسطيني في الخطاب الكولونيالي ؛ ولا سيما على المستوى الداخلي ، فهو لم يلقب بالوحيد لأنه كان " اليتيم والغريب وابن الشهيد المجهول " ( الشرفا ، 2017 ، 26 ) فحسب وإنما لأنه راح يثبت أنه وحيد زمانه بنضاله ضد المحتل ، في إشارة لم تخل من دلالة رمزية على حال المقاوم الفلسطيني الذي بات بحسب الظاهر وحيداً في مواجهة المحتل ، إلى جانب تفرّده في تفوقه المطرد والمتصاعد على مستوى التحصيل العلمي ، بدءاً من التعليم الثانوي ، ووصولاً إلى حصد أعلى الشهادات العلمية التي تثبت كفاءته وقدراته الذهنية وأهليته ؛ وتوافق اسمه ولقبه مع شخصيته ، وتكثيف أبعادها ؛ وذلك بعد أن اختصر الزمن بذكائه ، وراح يثبت تفوقه ونباهته في التمكن من مختلف العلوم ؛ فضلاً عن مناقشة بعض فرضياتها مع أساتذته " كانت المحطة الأولى للحكاية المرحلة الثانوية، كنت قد بلغت من الشأن في المدرسة ما منحني القدرة على أن أسبق عمري كنت مبدعاً في الرياضيات، وأحفظ الشعر عن ظهر قلب، وأجادل الأستاذ في العلوم. طرح مرة سؤالاً حول العمليات الحيوية التي يقوم بها الكائن الحي، فكانت الولادة والنمو والعمليات الحيوية، وأخيراً الموت. رفعت يدي معترضاً على الموت والولادة، لأنهما عمليتان لا يقوم بهما الكائن الحي، وإنما يقع ضحيتهما قسراً رفض الأستاذ تدخلي، وقال " اكتب الموجود في الكتاب ، المعوض كريم، الله عوض على أمه قد ما صبرت " سأسمع كل ذلك وسأمشي وحيداً وتبدأ الأحلام تتلبسني " ( الشرفا ، 2017 ، 28-29 ) ثم جاءت البشارة في أحدها لتخبره بنبوءتها " أورتناك علم الغيب ، والقدرة على رؤية الأحداث قبل وقوعها جزاء بما صبرت كرامة جديدة لكراماتك وآلامك " ( الشرفا ، 2017 ، 56 ) ثم توالت أخبار تفوقه التي قوضت مزاعم الخطاب الكولونيالي التي وصمته بالبلادة والتخلف ، حين أخذت علامات نبوغه بالظهور بقرائن اختصاره زمن التعلم ، ولا سيما تعلم اللغة الإنجليزية ؛ بوصفها الأداة الأولى التي يجب الاستحواذ عليها للشرع بالرد بالكتابة على الخطاب الكولونيالي ؛ بوصف الاستحواذ على لغة المستعمر هو العملية الأولى الاستراتيجية التي يجب أن تستحوذ بها مجتمعات ما بعد الكولونيالية على المظاهر الخاصة بثقافة القوة الإمبريالية ، ولا سيما لغتها وقوالب كتابتها ، وأفلامها ومسرحها ونماذج فكرها وأساليب تحليلها العقلاني ؛ لتوظيفها في إعادة صوغ هوياتها ومقاومة الهيمنة الكولونيالية ؛ من خلال وصولها إلى أكبر طيف من المتلقين ( أشكروفت ، 2010 ، 71 ) مؤكداً الوحيد ذلك بقوله " اجتاز الامتحان النهائي في المدرسة. سأحرز معدلاً فائقاً. ستتحدث المدينة كلها عن ابن الشهيد المجهول والوحيد اليتيم وتفوقه المبهّر في جامعة النجاح سيصطحبني خالي بلغته وعلاقاته سيسجلني في معهد اللغة بسرعة جنونية لم يتوقعها سأقن اللغة الانجليزية ، وسأعمل معه موظفاً ... عند كل صباح سأهاتف أمي

...ستوصيني بالنجاح.. المرة الأولى سأراها فيها ستكون عند تخرجي من قسم التاريخ في الجامعة التي درس فيها خالي " ( الشرفا ، 2017 ، 30 ) فالوحيد لم يثبت كفاءته العلمية بالنجاح في اجتياز المراحل الدراسية فحسب ، وإنما راح يحقق أعلى العلامات فيها ، حتى انتزع بنجاحه الباهر إعجاب المحيطين به ، والقريبين منه من أهل المدينة ، وسرعان ما تعلم اللغة الإنجليزية وأتقنها ؛ ليؤمن ما يجب أن يتوافر عليه المقاوم من عدة ثقافية تمكنه من الرد بالكتابة ، ولا سيما بعد مواصلة دراسته ، وحصوله على الشهادة العليا في قسم التاريخ " سأعاود الالتحاق بالجامعة للدراسات العليا ، فقد ورطني التاريخ برعب الروايات منذ طرد آدم وطوفان نوح وبقرة موسى وعجل هارون غادرت التاريخ بعد أن تيفنت أنه لا يوجد تاريخ ، التاريخ شهادة زور الحاضر ، التاريخ نرجسية الدليل فأنا وحدي وأمي ووالدي وابنتي وزوجتي ، كلنا ، كلنا دفعنا ثمن تاريخ الله ، دفعت ثمن رواية أن يرى حام عورة نوح ، وأن يعتذر الله ليعقوب عن تغلبه عليه ، وأن يُحاصر اليهود في خيبر " ( الشرفا ، 2017 ، 41 ) وذلك بعد أن أصبحت روايات تلك القصص والأحداث ، وما شابهها من تأويلات مثيرة للجدل سندا لبعض الأطراف في تبرير عدوانهم وجورهم وظلمهم ، الأمر الذي استدعى قيام المتخصصين في التاريخ بإعادة النظر فيها لتشخيص المغرض والزائف والمُحرّف منها ، كما هو الحال مع اختلاق قصة لعن نسل حام بن نوح بسبب رؤية حام عورة أبيه ؛ فالثابت في التوراة أن الأبناء لا يتحملون وزر الآباء ؛ ولكن كراهية الإسرائيليين لبني كنعان من الفلسطينيين والمصريين جعلتهم يخالفون هذا المبدأ الثابت ، ويزعمون أن نوح لعن ذرية حام من نسل كنعان ، ودعا عليهم أن يكون عبيداً أبد الدهر لابنيه سام ويافت ؛ لتبرير عدوانهم وحقدهم على الفلسطينيين ، ولنا أن نتخيل بعد هذا كله ما فعله الصهاينة بغير ذلك من الروايات من تحريف وتزييف ، لجعلها سندا لعدوانهم على الشعب الفلسطيني واقتلاعه من أرضه ؛ الأمر الذي جعل التدقيق في هذه الروايات التاريخية وإعادة النظر فيها أمراً في غاية الأهمية في خطاب ما بعد الكولونيالية ؛ لأن دراسة التاريخ في المدرسة أو الجامعة هي التي تشكل أساس الذاكرة ، وتبني فهم المُطلع ، وولاءه للوطن ، والإرث والمعتقد ( سعيد ، 2002 ، 93 ) ولأن الوحيد أراد من وراء معاودة التخصص فيه أن يُحبط تخريب صوت أبيه بعد أن قتله جنود الاحتلال في أثناء عودته من المدرسة التي كان يعمل فيها معلماً للتاريخ ، على الرغم من ارتدائه " قميصاً أبيض وبنطالاً أزرق وبيده كتابان للصف السادس لمادة التاريخ " ( الشرفا ، 2017 ، 16-17 ) ليعيد سرد ما كان والده يسرده لتلاميذه من وقائع تاريخية ؛ لأن الهويات في الأساس عملية تأويل أو إساءة تأويل للماضي والتاريخ والثقافة ( كاظم ، 2016 ، 132 ) وأن التاريخ سجل للوقائع والروايات التي اتخذ المستعمر من تحريفها غطاءاً لتبرير جرائم اقتلاع الشعب الفلسطيني ، وتهجيرهم من أرضه ، واستلاب وطنه ، وأن الرد على هذه الجرائم الفظيعة يبدأ من السيطرة على وسائل التفسير والاتصال ، والتحكم فيها بحسب طروحات غاياتري سببفاك ؛ بوصفها الأساس لفرض الهيمنة ، ودعم قوى الإقصاء ؛ الأمر الذي حفز أدب ما بعد الكولونيالية على إعادة كتابة أمهات القصص للرد على الكولونيالية التي اتخذت من السرد سلاحاً لإخضاع الآخر والهيمنة عليه ( أشكروفت ، 2005 ، 133 ) .

ومن هنا أدرك صالح الملقب بالوحيد بأنه " فلسطيني دفع ثمن روايات الأرباب " ( الشرفا ، 2017 ، 9 ) وعليه أن يكتب عن تاريخ فلسطين أرض المعجزات ( الشرفا ، 2017 ، 9 ) وأن يعيد قراءة " روايات بني إسرائيل في كتابهم وأسفارهم " ( الشرفا ، 2017 ، 11 ) ويتخذ من إعادة قراءتها استراتيجية للرد على تفسير اليهود لتلك الروايات ، واستنادهم إلى هذه التفسيرات في احتلال وطنه ؛ مدركاً أن المعجزة تتحقق " بمجرد القراءة " ( الشرفا ، 2017 ، 7 ) التي ستُنجز على يده ؛ لأنها " ستعيد إحياءه ، وإحياء آلامه وذاكراته في وجه شر من خلق... وربما تساهم في تحقيق رؤياه " ( الشرفا ، 2017 ، 12 ) وإن كان الوحيد قابلاً في سجن الدامون القريب من بلدته ( عين حوض ) التي احتلها اليهود سنة 1948 وأسموها ( عين هود ) حين " استجابوا لدعوة الرب بعد ثلاثة آلاف عام بقتل جيرانهم وهذه رواية ستدخل الوحيد في التيه والعتب ربما على الروايات المنسوبة للرب جلّها " ( الشرفا ، 2017 ، 7-8 ) لأن إعادة تشكيل تاريخ الغرب لم يتأت إلا بتهميش سرديات الآخر ، وإعادة كتابتها بما يؤكد مركزيته وكونيته ، وبما يخدم هيمنته بضرب من الاختلاق ، وإعادة التنظيم والتشكيل ( ينظر كاظم ، 2016 ، 74 ) وأن السرد لم يكن " مجرد مسألة قص محاييد للوقائع " ( سعيد ، 2002 ، 94 ) وأن الأمم والهويات ليست سوى مجتمع سياسي خيالي !! تشكل بفعل استراتيجيات الإسقاط ،

والحذف ، والتحوير ، والإزاحة لمجموعة من الأحداث والمواقف التاريخية ( كاظم ، 2016 ، 75 ، 131 ) وأن التاريخ نصوص لا تُمثل إلا بشكل منقوص ، وملتبس ، وغير تام بوصفه " حكاية تتألف من أحداث وشخصيات ومواقف ، وهذه الحكاية أو هذا الترتيب والانتقاء المقصودين للوقائع ليس موجودا في الأحداث الواقعية ، بل على المؤرخ أن يصوغ حبكة هذه الوقائع ، كما عليه أن يسرد تاريخه ... بأن ينتقي وقائع ويغيب أخرى " ( ينظر كاظم ، 2016 ، 128-129 ) ويبقى الفارق بين عمل المؤرخ وعمل الروائي في حرص الأول على التطابق مع الوثائق المتوافرة بين يديه ، وتخفّف الثاني من هذه الإكراهات ؛ لتصبح الهوية السردية عميلة تحبيك ثقافي تمارسها جماعة ضد أخرى لتمثيل الصراع السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي بينهما ( ينظر كاظم ، 2016 ، 79 ، 133 ) فالهوية القومية متورطة باستمرار في سرد ماض الأمة ، وسرد أجدادها المؤسسين ، وسرد الوثائق والوقائع الأصلية ، وغيره . " ( سعيد ، 2002 ، 94 ) ولذلك أدرك الوحيد بأن عليه أن يغيّر مجرى بحثه في دراسته العليا ، نحو الأساطير القديمة ، ليوقف دفع ثمن خطايا لم يرتكبها هو ، ولا قومه ، ويضع حدا لذبحه باسم الرب الذي مات قبله بآلاف السنين ، وبفعل أولئك الذين اختاروا ألتههم وشياطينهم ، ولكن " لا يحق لهم اختيار ضحاياهم وقرابينهم لذلك فالعالم لم يتحضر ، وأن الله "الأرضي" حمل أعباء وآثام وروايت لم يعد يطيقها ، وأن أهلي وأنا شواهد على فشل العالم ، وفشل رسالة الأنبياء بانتهانها إلى نقيض ما دعت إليه . فبدأت بحرية اختيار الرب ، وانتهت إلى حرية اختيار الضحية " ( الشرفا ، 2017 ، 42 ) .

ولاستكمال تقويض مزاعم المستعمر وتفكيك ادعاءاته التي وصم فيها المستعمر بالبلادة وعدم الإحساس بالجمال ، والجهل بفاعلية الفنون وأهميتها في الحياة ، وعدم القدرة على التعايش مع الآخر بدا الوحيد أيضا على الضد من تلك المزاعم ، وذلك حين صرخ مبديا إعجابه بأداء أحد الممثلين في العرض المسرحي الذي حضره ذات يوم ؛ بسبب اندماج الممثل مع الدور الذي أداه إلى الحد الذي أوقع الحاضرين بمن فيه الوحيد في الحيرة بين الواقع والحقيقة بعد أن لاحظوا اندماج الممثل مع الدور حتى اللحظة الأخيرة التي سقط فيها على الأرض وهو يتلوى مع المعطف الأسود الذي ظل يخاطبه " سأجلس وحيدا عند الزاوية اليمنى من المسرح الخالد ، سأحقد في التفاصيل ، وستبهرنني عبقرية الممثل ، وجدت نفسي أصرخ وباللغة العربية : مش معقول ! مش معقول ... " لأن العرض المسرحي أكد للوحيد مرة أخرى ازدواجية مواقف العالم ، وفشله في تحقيق ما يرفعه من شعارات التحضر والدفاع عن حقوق المظلومين ، وفشل رسالة الأنبياء في الدفاع عن المضطهدين وإنصافهم متسانلا " كيف يرى هؤلاء الإنسانية هنا ولا يرونها هناك ؟ " ( الشرفا ، 2017 ، 43 ) لتكون ردة فعل الوحيد هذه مدعاة لحدث أكثر من منعطف جديد في حياته ؛ إذ أثارت ردة فعله على أداء ذلك الممثل انتباه كاتبة النص ( ربيكا ) الإنجليزية لتقع في حبه أولا ، فيبادلها الوحيد الحب ويعترف قائلا " سأؤكد من أنني أحبها فعلا ... ولم أشعر برغبة في التواصل مع امرأة غيرها " ( الشرفا ، 2017 ، 51 ) ولتصبح زوجته لاحقا ، وتكون في نهاية المطاف صوتا آخر قدّم بهجنته وببوليفونيته شهادة من الآخر تثبت إنسانية الوحيد ، وتنفي عنه تهمة البربرية والوحشية والهمجية التي حاول المستعمر إلصاقها به ، ولاسيما مع نجاحه في للتعايش مع الآخر وتقبّل هجنة الهوية ، إذ قال الوحيد " قالت لي أن حساسيتي كانت عالية ، وأنا لم تر موقفا مثله رغم عملها الطويل في المسرح . كم كانت جميلة تلك الليلة " ( الشرفا ، 2017 ، 49 ) وذلك بعد طلبت ( ربيكا ) منه اللقاء به فيما بعد " ستطلب مني أن نلتقي غدا في المسرح إن أمكن سأجيبها بالقبول ... في المساء التالي سأذهب للقاء الشابة الجميلة التي وعدتها للمرة الأولى ، بعد نحو سبع سنوات في هذه البلاد ، كان مسيري فيها لا يتجاوز عتبة العمل ، ومنزل خالي ، وقاعات الدرس ، ستكون " ربيكا " هي كاتبة النص المسرحي ومعدة الحوار ، المرأة الأولى في حياتي والأخيرة التي سأتحسس عقلها وقلبها وجسدها " ( الشرفا ، 2017 ، 44-46 ) بعد أن تكررت زيارتها له ، وأخذت تقترب منه وتلح في ذلك ، واستمعت معه للأغاني التي كان يحب سماعها ، فهالها ما كان فيها من جمال ودلالات معبرة ، وتأكدت مرة أخرى من بطلان مزاعم الخطاب الكولونيالي التي نفت عن المستعمر اهتمامه بالفنون ، ولاسيما الغناء وما ينطوي عليه من ألحان عذبة ، ورؤى شعرية معبرة بلغتها الجميلة عن رغبات أصحابها وأحلامهم وآمالهم ومواقفهم تجاه الكثير من قضاياهم الوجدانية والوطنية " سنلتقي أكثر من مرة ، وستأتي إلى غرفتي ... سأسمع معها الموسيقى ... وسألتني إن كنت أحب ؟ فأخبرها أنني في حالة عشق مزمن ... ستأتي إلي

كل مرة مع أغنية مختلفة...ستسرح وتستغرب من طريق انفعالي مع الموسيقى والأغاني فأقول لها " إن هؤلاء يعبرون عن حلمي وخيالي " ( الشرفا ، 2017 ، 49- 50 ) فما كان لها بعد أن تكشف لها حقيقة شخصيته ، وتبين أنها ليست سلبية كما صورها الخطاب الكولونيالي إلا أن تعترف بحبها له " ستعترف لي ، ستقترح وتقفز ، ستعني لي بالعربية " شايف البحر شو كبيرة كبر البحر بحبك " ( الشرفا ، 2017 ، 53 ) وحين تدعو مرة أخرى إلى العشاء في منزلها ، وتظهر له بجمالها الباذخ ، وتسير به نحو غرفة نومها يثبت لها مرة أخرى سقوط مزاعم الكولونيالية التي صورته كأنها همجيا بلا أخلاق وبلا قيم ، وبهيما تابعة لغريزته الحيوانية المنفلتة ، وذلك بعد أن امتنع عن الاستجابة لرغبتها ، على الرغم من جمالها الفاتن وإحاحها بذلك ، وتكرار محاولتها ، ؛ معللا ذلك بامتثاله لما رباه عليه جده ، وأبوه من أخلاق نبيلة وقيم سامية تمنعه من التورط في الخطيئة " سبقتني ، كانت عند رأس السرير وأنا ألام الباب ، أخفت النور إلى ما قبل الانطفاء . وقفت أمامي ، واقتربت نحوي خطوة خطوة ، وضعت يدها على خدي ، مالت برأسها نحوي ، فسقط رداؤها ، انتصبت أمامي مثل تمثال ، ظهرت ملابسها الداخلية ، لمع نور خفيف حول خصرها ، وانسل النور بين ركبتيهما ، وكشف عن باطن ثدييها الخارجي ، ولمع عنقها الطويل ، تسمرت في مكاني ، حاولت جذبي ، حضنتني ، قبلت شفتي ، مررت أصابعها فوق صدري ، بقيت واقفا ، حاولت مرة أخرى ، لم أتحرك ، ارتدت إلى الوراء ، ولبست ثوبها ، خرجت من الغرفة وقد خفقت دموعها : ألا تحبني ؟ -بلى أحبك . -لماذا ؟ وضعت يدي على شفتيها وقلت : " كانت روح والدي وكلمات جدي تملأ الغرفة " ( الشرفا ، 2017 ، 55-56 ) مقوضا بهذه النهاية مزاعم المستعمر التي وصمته بالجنسانية المنفلتة ، وصوّرتة أسيرا للشهوات ونزواته ، ومن دون أن يترك لها سوى الإشادة بإنسانيته ونبل أخلاقه ورهافة إحساسه وقبول الاقتران به شريكا لحياتها وأبا لأولادها " كيف لهذا الشفاف الرقيق غير النهم وغير الشهواني وأن كان يختزل المتعة كلها بلمسة أو نظرة كيف لهذه الرقة أن تدفعني لتقبل أكثر الحالات استغراقا في الحاجة والغريزة وهي الحمل والولادة وانتفاخ الثديين بالحليب ؟ كيف انقلبت اللوحة وحافظت على جماليتها ؟ " ( الشرفا ، 2017 ، 147 ) لأن إنسانية الوحيد ورهافة إحساسه ورقي تعامله هو الذي قلب قناعاتها تجاه حياتها وجسدها ، وجعلها تقتنع بأن جسدها للزراعة وليس للأزهار ، وأن جسدها سيبقي بلا جدوى من دون الحمل والولادة ، وأن جمال المرأة ليس في جسدها ، والمسافة المقوسة بين خصرها وردفها كما كانت تظن " لم أكن أرى في الولادة سوى الدم والمشيمة اللزجة وصراخ بلا جدوى ...ومستقبل بلا جدوى " ( الشرفا ، 2017 ، 146 ) مؤكدة بهذا نجاحه في إحداث هذا الانقلاب العميق في موقف الآخر من خلالها تجاه قضيته المتمثلة بمناهضة الخطاب الكولونيالي ، والعمل على تفكيك مزاعمه وتقويضها شيئا فشيئا .

### ثانيا -الرد بالكتابة والتحول من سؤال المحبة إلى سؤال العدالة :

لقد كان تفاعل الوحيد مع أداء الممثل في العرض المسرحي سببا للقاء الطبيب الفلسطيني المسيحي (بشارة) حامل البطاقة الزرقاء ، ونجاحه في كسب المزيد من المناصرين لقضيته والوقوف إلى جانبه في نضاله ضد المستعمر ؛ إذ كان تفاعل الوحيد بصرخته " مش معقول " سبباً لجذب انتباه الطبيب بشارة ابن مدينة الناصرة القادم للتخصص في الجراحة ، وإلقاء السؤال عليه " أنت عربي ؟ سأجيبه بأنني من فلسطين من حيفا ، سيقول لي إننا جيران فهو يعيش في الناصرة ويعمل في مستشفى بحيفا سيقودني قليلا لنخرج نحو الباب الرئيس " ( الشرفا ، 2017 ، 44 ) ليصحبه الوحيد فيما بعد إلى شفته ، ويتبادلا الحديث ؛ فيخبره بشارة بأنه " سمع عن فلسطيني متفوق هنا لكنه لم يتوقع بأن أكون أنا " ( الشرفا ، 2017 ، 44 ) وسيتبين له أن بشارة مسيحي ولديه بطاقة زرقاء ، وأولاده تعلموا العبرية ، وهو يعمل مع أطباء يهود في مستشفى بحيفا ، عملا بوصية المحبة الربانية ( الشرفا ، 2017 ، 47 ) إلى أن توثقت علاقته بالوحيد ، وعرف قصة يتمه المؤلمة منذ الصغر بسبب إقدام اليهود على قتل والده معلم التاريخ في أثناء عودته من المدرسة ، وقصة والدته بعد هذه الحادثة الصادمة وما عانتها من عذابات الخوف والقلق على مصير ابنها ، واضطرارها لتحمل " وجع الفراق أمام احتمال الموت " ( الشرفا ، 2017 ، 31 ) بعد إقناعه بالسفر إلى بيت خاله في الخارج خوفا عليه من القتل كما قتل والده ، وقصة جده " سليمان الصالح المهجر من حيفا " ( الشرفا ، 2017 ، 17 ) وما قاساه من آلام اغتصاب اليهود لمنزله وتحويله

بمفارقة صادمة إلى بار للفنانين !! وامتداد هذه العلاقة إلى لحظة المواجهة العنيفة بين الوحيد الذي رأى شاهد بيت جده المبني سنة 1922م أي قبل نكسة 1948 - رآه " منقوعا بالبول والبراز وما ينتأه السكارى تحت أقدام المتغوطين ، بعد أن نقله الفنانون الجدد من أعلى باب المنزل إلى أسفل أرض الحمام " فلم يطق الوحيد تحمّل هذه الإهانة المتعمّدة التي بلغت أقصى مدياتها حين جمعت بين تدنيس الشريف ، وتنكيسه ، وقلب رتبته ، و " لم يستوعب اغتصاب شاهد المنزل وإهانته ؛ فالشاهد ليس حجرا ، إنه روح تصلبت كما يحدث التحول في التاريخ والطب " ( الشرفا ، 2017 ، 113 ) فحاول الوحيد انتزاع شاهد بيت جده وانتشاله ؛ فنشب شجار بينه وبين شرطيين ، وحين صرخ بوجههما " أريد الحجر فقط " بوصفه ذاكرة تسرد تاريخ وجوده ، ووجود أجداده وتقوض بتفاصيلها مزاعم المستعمر التي ادّعت بأن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ؛ ما دفع أحد الشرطين إلى لكمة بشدة على وجهه ، وتصويبه مسدسه نحوه ؛ فانتفض الوحيد بقوة ودافع عن نفسه بضرب الشرطي بحديد الشباك على يده ، ثم على رأسه ؛ ليسقط بجانبه مثل الذبيحة ، ويصرخ الوحيد " أريد الشاهد ولا أريد قتل أحد " فهاجموه رجال الشرطة بالهراوت وكسروا أسنانه فصرخ الوحيد " اكتب حكايتي يا بشارة " ( الشرفا ، 2017 ، 70 ) فأصيب الطبيب بشارة بما سمّاه " حالات ارتجاج في اليقين وعدم إيمان بالمنطق " ( الشرفا ، 2017 ، 91 ) جراء اقتناعه بعدالة قضية الوحيد ، والتعاطف معه ، ليعلن بدء التحول في موقفه من سؤال المحبة إلى سؤال العدالة و " بداية الدخول في مرض عضال لا يشفى منه ولا يميت " ( الشرفا ، 2017 ، 92 ) إذ سرعان ما أدرك الطبيب " أنه كان فلسطينيا معطلا " ( الشرفا ، 2017 ، 93 ) وأنه أمام مطلب إنساني يحتمّ عليه مغادرة حالة العطالة هذه بالتضامن مع الوحيد ، والرد على المستعمر بالكتابة !! وكشف جذور المشكلة ، والرد على التهم التي وجهت إلى الوحيد بعد هذه الحادثة ، بكتابة حالته !! وليس روايته !! باعتبار أن الحالة الطبية لا تقبل الاحتمالات كالرواية !! وذلك بعد أن اتهمت الصحف العبرية الوحيد بالكذب والخيانة ومرض الكراهية ؛ فأصيب الطبيب بشارة " بحالة الحمى ... لقد أصابتنى لعنة الوحيد كما أصابت ربيكا صديقتنا وزوجته لاحقا " ( الشرفا ، 2017 ، 79 ) وبات سؤال العدالة في نظره أهم من سؤال المحبة ، مدركا أن ذلك سيكلفه خسارات كثيرة ، لم تتوقف على مستوى خسارة زملائه في العمل ، وإنما امتدت إلى داخل أسرته أيضا ؛ فقد بدا في نظر زملائه " غريبا ... مصابا بلعنة التحول وشبهة التآمر " ( الشرفا ، 2017 ، 82 ) وسرعان ما تكشف هذا في حوار مع زميله الطبيب اليهودي يتسحاق الفرنسي الهولندي الأصل ؛ حين قال له " منذ أن جاء إلينا هو ( سليمان ) وحفيده وأنت في المشاكل ، في تلك اللحظة أدركت وجهي نحو يتسحاق ، وقلت له بالعبرية : أنتم من جاء إلينا يتسحاق " ( الشرفا ، 2017 ، 83 ) في أول تحول وشي بانقلاب منظوره ، وتبني الوعي المضاد للمنظور الكولونيالي ؛ وتحوله إلى " وحيد جديد " ( الشرفا ، 2017 ، 109 ) يردد أغاني فيروز ويتحدث " العربية دون خلط مع العبرية " ( الشرفا ، 2017 ، 109-110 ) لشرّعه عميلا بالتضامن مع ضحايا الاحتلال والبدء من مقبرة الاستقلال التي أصبحت عيادة لا لعلاج المرضى ، وإنما لإعادة كتابة تاريخ الضحايا " حفاظا على دفء ذكرياتهم ... فالكتابة عن التاريخ الأصل أولى من الكتابة عن التاريخ الطارئ " ( الشرفا ، 2017 ، 115 ) لاقتناعه بأن " الذاكرة علاج لمرض الموت " ( الشرفا ، 2017 ، 116 ) ولذا اختار بشارة / الوحيد الجديد البدء بإعادة كتابة تاريخ مقبرة الاستقلال بعد أن رأى شواهد القبور محطمة باستثناء شاهد واحد كتب عليه " المرحوم حسين أحمد الديك توفي 1300 هجراً أي قبل تأسيس إسرائيل بأكثر من 65 عاما أنا وهذه المقبرة وهؤلاء الأموات هم السكان الأصليون ، وهم سؤال العدالة يا وحيد .. أريد أن أكون فلسطينيا ... دون أن أهتم إن كان مسلما أو مسيحيا ... " ( الشرفا ، 2017 ، 89 ) .

ثم اختار أن تكون بدايته بإعادة كتابة تاريخ الموتى من قبر الطفل إبراهيم ؛ لا بوصفه أصغر ضحية للمستعمر ، وإنما بوصفه أبليغ شاهد على وحشيته أيضا ، إلى جانب بقية القبور التي لم يُعد الطبيب بشارة شواهدا إليها فحسب ، وإنما أعاد لها هويتها أيضا ، وجعلها تطلق بفلسطينيتها بعد أن حاول المستعمر طمسها ، وإخفاء ملامحها بأساليب شتى بما في ذلك تغيير أسمائها ، وحجبها بالمباني المرتفعة من حولها " في ذلك النهار الأول سأرتب حجارتها الشواهد المحطمة ، وسأزيل آثار الأوساخ والبلاستيك المتطاير عن سور المقبرة وسياجها الحديدي ، وسأقتلع اللافتة المكتوبة بالعبرية وسأكشف معالم القبور قبرا قبرا ... يابرهوم ... أنا بشارة سأفك

وحدثك بعد أكثر من خمسين عاما من الموت الأخرس ، وسأجعل شاهد قبرك لسانك " ( الشرفا ، 2017 ، 116 - 117 ) ليقاوم كل محاولات الطمس والتغييب ، ويعيد سرد جرائم المُستعمر التي لم يسلم منها كبير أو صغير ، ولم ترع حرمة أي إنسان ، ولا سيما الطفل الأعزل فيهم ، الذي لم يملك القدرة على الدفاع عن نفسه .

ثم اختار الطبيب بشارة بأن تكون المرحلة الثانية من إعادة كتابة تاريخ ضحايا المستعمر من على جدران منزله ليعيد تشكيل وعي أفراد أسرته وكل من يزوره من الضيوف ، ويعرفهم بسير المقاومين الذي واجهوا المُستعمر ودفعوا حياتهم ثمنا لمقاومته ؛ ليجد نفسه في جدال حاد مع زوجته ماري بسبب اختلافه معها تجاه تلك القضية ، وبلوغ ذروته حين قالت له " هل تريد تغيير العالم يا بشارة... رح تخرب بيتنا " ( الشرفا ، 2017 ، 101-102 ) فحاول التأثير على موقفها من خلال تذكيرها بدلالات الصليب الذي تحمله ؛ بوصفه شعارا للدين الذي يأبى الظلم ، ويدعو للتسامح والتعايش " لماذا تحملين الصليب في عنقك " ( الشرفا ، 2017 ، 101 ) لأن التحول من سؤال المحبة إلى سؤال العدالة يوجب نصرة الوحيد ، وعدم التخلف عن الوقوف معه ومع والدته والدفاع عنهما ، وضرورة اغتنام كل مناسبة بما في ذلك مناسبة عيد ميلاد زوجته ماري ؛ للفت انتباه أكبر عدد من الجيران إلى عدالة قضية الوحيد ، ولا سيما حين يتحدثون عن السلام ، ويضيئون الشموع على أرواح الضحايا ، مذكرا إياها بأن والد أم الوحيد هو صاحب أول مطبعة ومكتبة في حيفا قبل أن توجد ( إسرائيل ) بثلاثين عاما ( الشرفا ، 2017 ، 105-106 ) وعليه اغتنام هذه المناسبة بتعليق صور المقاومين وسيرهم على جدران صالة منزله ، لا بوصف الصورة خطابا بصريا مُعبراً فحسب ، وإنما بوصف " صور الشهداء شواهد قبور تنتفس " ( الشرفا ، 2017 ، 125 ) وينبغي توظيفها في الرد على المستعمر ، ولا سيما في أعقاب احتفال ولديه إبراهيم وجوليان بعيد الاستقلال ( الإسرائيلي ) واختلاط كلماتهم العبرية بالعربية والانجليزية " أنظر إليهما وأفكر كيف أنهما قبل أسابيع احتفلا بعيد (الاستقلال) ولوحوا بـ ( العلم الإسرائيلي ) فوق رؤوسهم على أرض أجدادهم وأخوالهم الذين هربوا من النيران والمذابح...أبد بتعليق الصور أذهب إلى الصور وأعلقها واحدة تلو الأخرى ، صور لصالح خلف ، وأخرى لوديع حداد وثلاثة لغسان كنفاني ، ورابعو لكمال ناصر ، وخامسة لخليل الوزير ، وسادسة لوانل زعير ، وسابعة لصبري الشريف ، وثامنة فسماعيل شموط ، وتاسعة لناجي العلي ، وعاشرة لأبي عرب ، يأتي الأولاد مسلاعين مندهشين ، كل هدول أقاربك بابا ؟! ، نعم بابا ، تأتي ماري في هذه اللحظة ، ما هذا بشارة ؟!- صور أقاربنا كما ترين- أي أقارب ؟!- أقاربنا من حيفا ويافا وصفد وعكا وأمريكا وإيطاليا- بدك إبانني أنجن بشارة ؟!- أبدا. مين أقرب علينا هؤلاء أم الضحايا الإسرائيليين الذين نرفع صورهم في ذكراهم ؟!- لا لا. خلص ناوي تخرب بيتنا فعلا ، ويمكن تخليها وقت وصول الضيوف كمان !- طبعاً ماري، الأولى أن لا نخجل بضحايانا وجيراننا الأصليين.- يوم فرحتي بشارة.- ألا يجدر بنا أن نذكر المظلومين وقت فرحنا ؟! يقترب الأولاد مني، من هؤلاء بابا ؟! عندما ألصق ملخص السيرة مع كل صورة ستعرفون " ( الشرفا ، 2017 ، 121-122 ) بوصفه المعرفة سلطة ، ولابد من توظيفها في إلى جانب الفنون في تقويض الخطاب الكولونيالي ( سعيد ، 2014 ، 83 ) ولذا أخبرهم والدهم بأن صلاح خلف ولد في حيفا عام 1933 وهجر قبل إنشاء ( إسرائيل ) بيوم واحد ثم اغتيل في تونس 1991 ، وأن وديع حداد ولد في صفد عام 1929 وأصبح طبيبا ثم اغتيلَ بالسَّم في ألمانيا 1978 ، وغسان كنفاني ولد في عكا عام 1936 كان روائيا ومترجما، اغتالته (إسرائيل) مع ابنة أخته بالمتفجرات، وتطايّرت أشلاؤهما في بيروت عام 1972 ، وكمال ناصر ولد في بلدة بيرزيت عام 1925 كان شاعرا واغتالته (إسرائيل) بإطلاق الرصاص في فمه في بيروت عام 1973 و خليل الوزير: ولد في الرملة عام 1935 من مؤسسي الثورة الفلسطينية اغتالته (إسرائيل) في تونس بسبعين رصاصة عام 1988. ووانل زعير ولد نابلس عام 1934. كان مترجما كبيرا، اغتيل في روما برصاصة في رأسه عام 1972 ، وصبري الشريف ولد في يافا عام 1922 كان مخرجا وإعلاميا توفي عام 1999 ، وإسماعيل شموط ولد في اللد عام 1930 كان فنانا تشكليا رسم اللجوء والموت عطشا أثناء النكبة ، وناجي العلي ولد في قرية الشجرة عام 1937 هجر إلى لبنان وكان رساما كاريكاتيريا ، وأسكتته رصاصة في الرأس في لندن ، وأبو عرب ولد في قرية الشجرة عام 1931 أسس فرقة ناجي العلي وظل يغني لفلسطين ؛ ولهذا اختار بشارة توظيف الخطاب البصري لصور هؤلاء المقاومين وسيرهم في تقويض كذبة

المستعمر الكبرى التي زعم فيها بأن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ، وذلك من خلال تسليط الضوء على القاسم المشترك بين أولئك المقاومين والشهداء ، ونعني بذلك ولادتهم كلهم في فلسطين قبل إعلان إنشاء ( إسرائيل ) في 1948 فضلا عن تنوع مؤهلاتهم ومهاراتهم وكفاءاتهم ؛ بما يعزز خطاب النزعة الأهلية في تفكيك خطاب النزعة الكونية الكولونيالية التي قسمت العالم إلى مركز وهامش ، ويقوض مركزيتها التي جعلت من ذاتها معيارا لكل البشرية بعد أن وصمت نفسها بالتفوق ، والآخر بالدونية على المستويات كافة ؛ ورأت أن ثقافة المستعمر هي الثقافة المتحضرة ، والرفيعة والمتقدمة ، وما سواها شعوب متخلفة ومتوحشة ، وهمجية ؛ وذلك لأن بشاره أكد أن بعضهم تخصص في الطب ، وبعضهم في الفنون من أدب ورسم وغناء ، ولم يكونوا كما زعم المُستعمر متخلفين أو همجين بلا ذوق أو إحساس ( الشرفا ، 2017 ، 122-124 ) .

ثم انجز الطبيب بشاره المرحلة الثالثة من مراحل حمى الرجعة ، والتحول من سؤال المحبة إلى سؤال العدالة ، حين شرع بترجمة ما كتبه ربيكا زوجة الوحيد من رسائل باللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية ؛ وتحول إلى جراح لغوي ، ليعزز رصيد الرد على المُستعمر بالكتابة مرة بلغة الوحيد بعد أن كانت بلغة الآخر ، حين اتصلت ربيكا وقالت له " بعثت ملفا تريد مني أن أترجمه ، وأنشره حرفيا ، وهو شهادتها وتجربتها ورؤيتها للوحيد " ( الشرفا ، 2017 ، 128 ) وكان الملف من ثلاث لوحات ، ركزت في الأولى على إنسانية الوحيد التي جعلته في نظرها " مسيحا جديدا وهو المسلم " ( الشرفا ، 2017 ، 131 ) وقد تجرّع قسوة اليتيم منذ صغره وظل يشعر بأنه يدوس على قلب أمه كلما تذكر بأنها ترتقب خطى عودته من المدرسة خوفا من تكرار مصير أبيه معه !! وكيف يمكن له أن يكون سعيدا بعد أن حفر جده سليمان في ذاكرته كيف هجره اليهود من قريته عين حوض ، وصادروا منزله ، وكيف له أن ينسى رائحة أشجار الخروب المزروعة على طريق مدرسته وقرب منزل جده ، وألا تعيد تلك الرائحة عليه طرح السؤال " هل ان فلسطين كانت أرضا بلا شعب " ( الشرفا ، 2017 ، 133 ) كما زعم المستعمرون ؟ وهم أبناء عمومته الذين تفوقوا عليه " بالخبث واللؤم وانتجوا أنفسهم أبناء لله فجلسوا على موائد العالم يتباكون كالأيتام لا يشبهون الوحيد بأي حال من الأحوال ويستعبدون العالم باسم الرب " ( الشرفا ، 2017 ، 135 ) ولم يخطر ببال ربيكا جونسون وهي " كاتبة المسرح أن يأتي عربي فلسطيني ليعلمني " ويكشف لها نفسها بعد أن كانت مهمتها " اكتشاف الآخرين " ( الشرفا ، 2017 ، 136 ) ولا يترك لها بعد هذا سوى الاعتراف له بحبها وحملها على التضامن معه ، تحت مظلة هجنة الهوية ، وفاعليتها في تقويض مزاعم الخطاب الكولونيالي من خلال اللوحة الثانية التي كرستها ربيكا جونسون لتصوير فظاعة الجرائم التي ارتكبتها المُستعمر بحق المُستعمر ، ولفت الأنظار إلى الفجوة الأخلاقية الكبيرة بين الطرفين ، وقلب صورتها النمطية ، بتبرئة المُستعمر من التهم التي حاول المُستعمر إلصاقها به وإسقاطها عليه ، ولاسيما البهيمية والبلادة ؛ لأن الوحيد استعصم أمام غواية ربيكا وصمد أمام فتنة جمالها الباذخ قبل زواجه منها ، وفاجأها بعفاهه ، وأثبت لها خلاف ما أشاعه المستعمر في حقه ، حين قالت " كنت أطارده محبة وعشقا ... كيف لعربي أن لا يستجيب لنداء جسد محب من امرأة شقراء غير هذا؟ عندما غادرني مسرعا في البرد ورفض قضاء الليلة معي قائلا: إن أحزانه تمنعه من الطبيعي. كتبت له القصيدة التي أحبها وأحتفظ بها، وكيف لي أنا أن أتقبل هذا النية؟ أنا ربيكا جونسون، التي يطمح بالسهر معها كبار الكتاب والممثلين في هذا البلد وغيره. أحدث نفسي بغواية عربي فلسطيني " ( الشرفا ، 2017 ، 139 ) لم يقوض بعفاهه هذا الصورة الشائنة التي شكلها مخيال المستعمر له فحسب ، وإنما قوض بعصاميته وحدة ذكائه وتفوقه المبهر النادر أيضا صورة المُستعمر المتخلف والعاجز والكسول والغبي والبليد حين " أتقن اللغة الإنجليزية بسرعة رهيبية ، وكان يحفظ كل التواريخ واحتمالاتها حسب كل رواية في الديانات جميعها، ووصل الانبهار به إلى حد القول بأنه يوحى إليه أو أنه خارق؛ إذ لا يمكن لقوى البشر الطبيعية أن تستوعب هذه المعلومات والاحتمالات كلها، تعمقت الصدمة عندما بدأ يحضر أطروحاته للدكتوراه حول التاريخ الغربي ومحاولة الخروج من الأسطورة. لقد أنكر فكرة التقدم في تاريخنا، ورفض فكرة الإنسانية كذلك " ( الشرفا ، 2017 ، 139-140 ) وأثبت صحة هذا بتعامي الغرب عن أبشع جريمة اقتلاع ارتكبتها اليهود بحق الشعب الفلسطيني ، في الوقت الذي كان يرفع فيه هذا الغرب شعارات الإنسانية ويدعي التحضر والتقدم ، ولكنه في الوقت ذاته تواطأ مع " نزع الشعب الفلسطيني وتشييده من أرضه عام 1948

... إذ كيف لحضارة تقول أنها ختمت التاريخ وتدعي فلسفة العلم والتقدم والاشتراكية... أن ترى تشريد شعب آخر وقتله وإقامة دولة دينية استجابة لوعد الرب بعد أن صرعه نبي حسب الروايات التوراتية قبل آلاف السنين؟ كيف لكل هذا العلم والجدل واكتشاف الخارطة الجينية أن يستجيب لهذه الفكرة الهشة الرهيبة؟" (الشرفا ، 2017 ، 140) التي كانت بحسب نظره إحدى حلقات سلسلة التقديس الطويلة التي حرص الوحيد على تقويضها وتفكيكها في أطروحته للدكتوراه ومحاضراته بعد أن وعى أثرها البالغ في سماح الغرب لليهود بتشريد الشعب الفلسطيني ، وحمله على دفع فاتورة التكفير عن الخطايا التي ارتكبتها الغرب بحق اليهود ، ولم يكن للشعب الفلسطيني دخل فيها فكان " وعد بلفور صكوك غفران جغرافي " ( الشرفا ، 2017 ، 140) ولهذا ظل الوحيد يخشى على ابنته ليلي من تكرار مصيره معها ، وأن تدفع فاتورة الحرمان منه كما دفعها هو من قبلها ؛ لتكون اللوحة الثالثة من لوحات ربيكا جونسون مكرسة لتمثيل موقفها النهائي من قضية زوجها الوحيد وقلقه الوحيد على ابنته ليلي ، وأثار غيابه عن حياتها ؛ فضلا عن تمثيل هجنة هويتها التي جعلتها " في منتصف المسافة بيني وبينه ، أنفي الرقيق وعيناه الحادثتان ، لون شعره وسيولة شعري " ( الشرفا ، 2017 ، 145) لأنها أدركت فيما بعد بأن الوحيد إنسان نبيل اتقن اللغة الإنجليزية بسرعة ، وتعمق في دراسة التاريخ وراح ينتقد ازدواجية الحضارة الغربية ، ومزاعم تفوقها في الوقت الذي انحازت فيه إلى تشريد شعب آخر ، وقتله من أجل إقامة دولة دينية استجابة لوعد رب قبل آلاف السنين ، ولتشهد له بعد أن عرفته عن قرب بأن " قلبه الرسولي يغمر الأرض محبة لكنه مع ذلك لن يُسلم لهم منزله ... إن الوحيد ليس قاتلا لكنه ليس جباناً كان يقول لي : إذا أرادوا أن يعيشوا فليعيشوا جيرانا لا أسيادا ، شركاء لا أوصياء فوقيين ، كما عاشوا آلاف السنين قبل أن تلقحهم لعنة رواية النبأية الربانية هذه " (الشرفا ، 2017 ، 149) ولهذا لم تتردد في مطالبة صديقه الطبيب بشارة بأن يخبر الإسرائيليين بـ " أنها من المهتدين إلى رسالته " (الشرفا ، 2017 ، 12) الأمر الذي أكد نجاح الوحيد في كسبها إلى جانبه في معركة تفكيك مزاعم الخطاب الكولونيالي ، من خلال كشف تناقضاته والرد عليها ، مذكرا إياهم بازواجية معاييرهم ؛ لأنهم أباحوا بها ما لم يبيحوا لغيرهم و " أنهم لا يملكون القوة الأخلاقية لمحاكمته " (الشرفا ، 2017 ، 151) لبعد أن أسقطوا كل الخيارات ولم يتركوا له سوى خيار المواجهة ، والصدام معهم بعد أن تبادوا في عدوانهم على كرامته ، وعلى تاريخ وجوده ووجود أجداده ، واستفروا بسلوكياتهم المتوحشة إنسانيته وإبائه وإيمانه بعدالة قضيته ، وحقه في الدفاع نفسه ووجوده " إن قواكم المتوحشة وسلوككم الرهيب وتناقضكم هو من أيقظ الكبرياء الأخير في روح الوحيد الذي تريدون منه أن يكون كريما حد التكرم بذكرياته وبيئته وشواهد قبور أجداده ، لقد دفع ثمن توحش الجميع ؛ توحش الفنان الذي يتفوق في تحجر الله ويعيد إنتاج دين الأنانية؛ فكيف لفنان مهاجر أن يقيم مجده على تعب وعرق فنان مقيم وإن كان لا يدعي رساما؟ وكيف للعالم أن ينتصر لذكريات منقطعة منذ ثلاثة آلاف عام، ويتجاوز ذكريات جسدها الآن مازال ساخنا؟ وكيف يطلبون من الوحيد أن يدفن قبور أجداده لتبحثوا أنتم عن قبور أجدادكم؟ وما هو الأهم أيها العالم، اللوحة الأزلية أم الفنان الطارئ؟" (الشرفا ، 2017 ، 147) ولهذا أيقنت ربيكا زوجة الوحيد غير الموحدة !! بأن الفرق الرئيس بينه وبين المستعمرين كان في اتقانهم دور الضحية ، وتسول العطف واستجدائه من الآخرين ، من خلال الكذب والتدليس ، في الوقت الذي أبى فيه الوحيد استجداء التعاطف مع قضيته ، ورفض عرض ربيكا حيث قالت له قبل زواجهما " ما رأيك أن أحول حكايتك إلى مسرحية ؟ لا أريد ، ومن قال لك أنني شحاذ تعاطف ، أحدثك بصفتك صديقة، وليس كصاحبة عمل . اقتربت مني معذرة ، حضنتني بقوة ، وكررت كلمات الأسف " (الشرفا ، 2017 ، 51) لتكون ابنتها ليلي امتدادا لها في تبني الوعي المضاد لخطاب المستعمر من خلال طرح المزيد من التساؤلات عن أحوال والدها ، وجدها وقبر جدها " ومن أحق بمنزلها في عين حوض ؟ هي الأحق أم الالاف المهاجرين الذين لا يعرفون الفرق بين شجر الخروب وشجر البلوط " ( الشرفا ، 2017 ، 148) مؤكدة نجاح والدها في إحداث هذا التحول العميق في وعي الآخر من خلال التضامن معه ؛ وتمثيل إيمانه واقتناعها بعدالة قضيته من خلال ممارسات كثيرة ؛ إذ لم تكن ليلي ابنة عادية ، بعد أن شرعت في الدفاع عن براءة والدها استنادا إلى تاريخ حياته ومواقفه ، التي لم تسمح له بالاستهانة بروح حيوان !! فما بالك لو كان الأمر يخص روح إنسان ؟ الأمر الذي حفزها على الاستعانة بالرسم للدفاع عنه ، وعن آبائه ، وتأكيد هذا برسم وجوه أجدادها ، ووالدها ومنزلهم ؛ في مسعى

منها لتوظيف الفن في مقاومة حرص المُستعمر على تغييرهم ومحو تاريخ وجودهم ، ووجود وطنهم من الذاكرة ، " تسرح وترسم ، تعود بعد أن تنظر إلى صورة والدها ماما ماذا يفعل أبي الآن هل هو دافئ وشبعان ؟ هل يضر به الأسرائيليون ويعذبونه ؟ أخبرهم أن والدي الذي سألت دمعه على قط مكسور وسهر حوله ودفاه لا يمكن أن يقتل لا يمكن لا يمكن وهم كذلك سرقوا منزل جدي في عين حوض ...كيف انتقلت لفن الأمكنة وإلى ليلي التي ترسم المنازل دائما والوجه ...ترسم وجه والدها" ( الشرفا ، 2017 ، 147 ) ، لتشكل بعد هذا كله مع ( جوليانا ) ابنة الطبيب بشارة مثالا آخر على ولادة الوعي المضاد نجاح الوحيد في كسب المزيد من الأنصار إلى جانبه ، والسير على خطى والدها في التضامن معه بعد " أن كانت قبل أسابيع تحتفل باستقلال ( إسرائيل ) وبعد أن تحول والدها من " طبيب إلى سجين متهم بالتواطؤ وخيانة الدولة " ( الشرفا ، 2017 ، 153 ) على الرغم من علمها بأنه " لم يكره أعداءه ، لكنه أراد أن يطبق وصايا الرب بالعدالة " ( الشرفا ، 2017 ، 153 ) ولم يخطر في بالها أن ذلك سيكون مدعاة لاعتقال والدها بطريقة عنيفة ، أسقطت في نظرها مزامع المستعمرين في احترام حقوق الإنسان " اقتحم رجال الشرطة منزلنا دون سابق انذار ، وصادروا كمبيوتر والدي وهاتفه وحطموا الصور المعلقة بعد حفلة عيد ميلاد أمي...حاول تهدئتي عندما اعتقلته الشرطة الإسرائيلية بهذا الشكل العنيف ؛ فقد داست أرجلهم ما تبقى من زينة ومزقوا ما تبقى من عبارات التهنية " ( الشرفا ، 2017 ، 154 ) ليثبتوا لها من خلال هذه الانتهاكات زيف كل الشعارات التي كانوا يرفعونها عن عدالتهم وإنسانيتهم وتحضرهم ، وهمجية غيرهم ووحشيته ؛ ولا سيما بعد أن حضرت محاكمة والدها ، وعما الوحيد واختارت أن توثق بالكتابة مجرياتها وتفصيلها لتساهم في الرد بالكتابة على المستعمر الذي وجه من خلال قاضي المحكمة للوحيد تهمة القتل فرد عليهم بـ " أنه لم يقتله ، وأن الذي قتله من جاء به إلى هنا ، ومن وضع شاهد منزل جده تحت البول والقاذورات " ( الشرفا ، 2017 ، 156 ) مذكرا القاضي بأن العدالة توجب إدانة المعتدي ، وليس الضحية في حال الدفاع عن نفسها ، وصون ممتلكاتها من التجاوز والإهانة والتدنيس ، وتأيد والدها للوحيد في هذا من خلال التوجه إلى القاضي بقوله بأن الوحيد " دافع عن نفسه وعما رآه ، وأن من حق الوحيد وابنته ليلي العودة لبيته في عين حوض " ( الشرفا ، 2017 ، 157 ) إذ ليس بوسع رموز خطاب ما بعد الكولونيالية مناهضة الخطاب الكولونيالي من دون مواجهة المعاملة القاسية تحت مظلة عدهم غربيي الأطوار ومختلي العقول ( أشكروف ، 2010 ، 102 ) بهذا بدا الجميع متضامنا مع الوحيد في مواجهة المستعمر ، وكل بحسب ما لديه من قوة ووسيلة ، سواء كانت كتابة أم ترجمة أم حجاجا أم رسما بعد أن وعيهم بجرائم المُستعمر ، وتيقنهم بأن فكرة الإنسانية التي ظل الآخر يتبجح بها فكرة كاذبة ، ولا يمكن لها أن تصمد أما شواهد جرائم المستعمر الفظيعة .

#### ثالثا- سرديّة الشتات :

تعد سرديّة الشتات إحدى استراتيجيات خطاب ما بعد الكولونيالية ؛ لتمثيلها آثار التشوّت القسري الذي تسببت به الكولونيالية لشعب ما من أرضه الأصلية إلى مناطق جديدة ( أشكروفت ، 2010 ، 136 ، 142 ) ومن الثابت أن سرديّة الشتات الفلسطيني نتجت بفعل سياسات الكيان الصهيوني التي انتهجت مبدأ الإحلال بالتوازي مع نفي الوجود الفلسطيني من الثقافة والتاريخ بهدف القضاء على وجوده ، وإحباط أية محاولة لمقاومة ذلك بشكل أو بآخر ( أبو شهاب ، 2017 ، 11 ) ليبقى سرد تداعيات الشتات المؤلمة التي نجمت عن فعل الاقتلاع أو التهجير ، وما تسبب به من صدمة ورضة نفسية عميقة ، بعد رحلة الخروج ، ومواجهة إشكالية ازدواج الهوية ، وانبثاق مشاعر الحنين والتذكر ، ومحاولة تعويض ذلك ببناء وطن بديل – ليبقى هذا كله من أبرز تمثيلات سرديّة الشتات في ضوء خطاب ما بعد الكولونيالية بعد إلغاء حق الفلسطيني في وطنه الأم بذريعة انتمائه إلى الشتات ، وإلغاء حقه في أوطان الشتات بذريعة انتمائه إلى فلسطين ( أبو شهاب ، 2017 ، 12-13 ) .

#### 1- الاقتلاع :

يعد الشتات الفلسطيني من أعقد تجارب الشتات ؛ لارتباطه بالنفي الوجودي القسري خلافا لتجارب الشتات الأخرى التي لم ترتعن بمبدأ النفي الكلي على مستوى الأرض ، والإنسان والثقافة والتاريخ ؛ بهدف القضاء على أية محاولة للعودة ؛ فثمة ارتحالات كثيرة عبر التاريخ ، ولكنها لم ترتبط بصعوبة العودة أو استحالتها ( أبو شهاب ، 2017 ، 39 ) وما دام فقدان الوطن يمثل حدثا مأساويا ف

" بوسع نص ما أن يدعم مقاومة الأيديولوجيا الكولونيالية بتوصيف جرائم المستعمرين، ومعاناة المستعمرين، أو الآثار الضارة للكولونيالية على المستعمرين" ( تايسن ، 2021 ، 456) ولأن الشتات الفلسطيني ينهض على ذكريات القتل والتدمير والمجازر وانتزاع الأرض ورحلة الخروج ( أبو شهاب ، 2017 ، 44) فقد ظل جد الوحيد يعيد عليه مرة بعد أخرى جرائم المُستعمر ، وما تسبب به الاحتلال من صدمة أثارت مشاعر الحيرة ، والعجز عن فهم أو تصديق منطق ما حدث ، وذلك حين وصف جد الوحيد وحشية المستوطنين الذين هاجموا قرية عين حوض ، وعاثوا فيها قتلا وحرقا ، وتدميرا وتخريبا " وسيروي اليوم الأخير في عين حوض قبل أن يهجم المستوطنون، مستوطنو «عتليت» القريبة، الذين كانوا جيرانا قبل ذلك اليوم. سيصف الدخان وصوت الرصاص: هاجمونا في الليل، ذبحوا المواشي عند حدود البلدة، وبدعوا بالاقتراب هدموا المنزل فوق رأس الداية سعدية الأرملة الوحيدة. سيحملونها من بين الأنقاض، سيصف الناس الهاربون جثتها الرقيقة، وكيف تقوست على الجدار الحجري أمام منزلها، كان الدم قد غطى رأسها، وكانت أصابع يدها قد دكت واختلطت على شكل لحم ممزق. تحدثت على الجدار من ناحية ظهرها. سأفسره الآن هنا في هذه الزنزانة المظلمة بأنه صلب أرضي، كان رأسها قد تهدل نحو منزلها المدمر، فيما ارتفع بطنها وتدلّت رجلاها نحو الطريق. في نيسان بالضبط، سيعدها جدي باليوم، وسيعد الأشجار المحروقة منذ نيسان حتى تموز من عام 1948، سيصف المستوطنين ومدافعهم وخوذهم الحديدية، وليالي المبيت والاختباء في كهوف الكرمل التي تحولت من مكان للعب واللهو في الطفولة إلى ملجأ من قصف المستوطنين بالمدافع. سيجتر الحسرة على الأشجار المحروقة، وعلى شابين استشهدا عند المسجد، وجرى تعليقهما على بوابته، وسيبكي عندما احتل اليأس قلبه وخوفه على والدي ، سيتأنى وتشخص عيناه ويغرقهما الدمع عندما يستعيد نظراته الأخيرة وإغلاقه المنزل بعد أن حشر الحمام في غرفة الزوار، سيضع الجاروشة تحت الفراش، وسيحمل والدي على ظهره وحيدا بعد أن أرسل جدتي إلى نابلس عند صديقه الذي كان يعمل في تجارة الحبوب " ( الشرفا ، 2017 ، 27-28) ففي هذا النص تتجلى آثار المُستعمر التي تقوض مزاعم الإنسانية والتحضر والتقدم والتطور التي ظل يدعيها لنفسه ، وبصم ماعدها بنقيضها ، ولاسيما كذبة " أن فلسطين كانت أرضا بلا شعب ، لشعب بلا أرض " بدليل أن ما ارتكبه المستعمر من جرائم بحق الإنسان الفلسطيني وأرضه ، وممتلكاته من زرع وحيوان ، فولا وجوده ووجوده ممتلكاته على هذه الأرض ما كان للمستعمر أن يأتي بجنوده في ليلة ظلماء ليهاجموا على أهل قرية عين حوض ، ويطلقوا نيران رشاشاتهم ومدافعهم بطريقة لم تستثن إنسانا أو حيوانا من وحشيتها المدمرة ، مخلفة وراءها رعبا ودمارا ، فقتل الإنسان وحرق الأشجار وذبح المواشي وتهديم الدور وتخريب ملاعب الأطفال كلها علامات تسرد تاريخ وجود الشعب الفلسطيني على أرضه من ناحية ، وتدحض أكاذيب المستعمر من ناحية أخرى ، ولاسيما بإقدامه على قتل الداية ( القابلة ) لما ينطوي عليه من دلالة رمزية ، وشيت برغبة المستعمر في إلغاء الوجود الفلسطيني ، واقتلعه من خلال الإصرار على قتل من يقف وراء استدامته ، واللجوء إلى أفضع الأساليب في تنفيذ هذه الرغبة الوحشية ، التي تتناقض مع مزاعم الإنسانية ، ولا تمت إليها بأدنى صلة ، لأنها لم تكتف بسلب حياة الضحايا ، وإنما تخطت ذلك للتمثيل بهم ، وهتك حرمتهم من بعد قتلهم ، بتعليقهم على بوابة المسجد !! إمعانا في الاستهانة بمقدسات المُستعمر والتجاوز على رمزية معتقداته ، والذهاب إلى أبعد من ذلك من خلال هتك حرمت الموتى ؛ بهدم قبورهم " اقترب من مسجد الاستقلال، وأرقب شواهد القبور، لاشاهدا واضحا، لقد حطموها وجعلوها كومة من الحجارة. ...أنا وهذه المقبرة وهؤلاء الأموات هم السكان الأصليون، وهم سؤال العدالة يا وحيد. أقرأ الفاتحة على الأموات أنا المسيحي الذي بدأ يعيش تفكك الرواية نحو الحالة، فأنا أريد أن أكون فلسطينيا على طريقتهم لأنهم أموات، ولأنهم أكثر أصالة مني" ( الشرفا ، 2017 ، 88-89) لما تمثله من شواهد أخرى تثبت تاريخ الوجود وتعيد سرده بمقاومة فعل تعاقب الأيام في الطمس والمحو ، وتدحض أكذوبة أن أرض فلسطين كانت بلا شعب لشعب بلا أرض " كانت المقبرة محطمة الشواهد -الشاهد الذي كاد أن يجعل من الوحيد قاتلا- هنا مئات الشواهد وهناك في عكا الآلاف، وفي يافا مثلها وغيرها، والوحيد ليس وحيدا. حجارة سور المقبرة متهاكة ومتآكلة. " ( الشرفا ، 2017 ، 87) إلى جانب غلق شرايين الحياة ، بردم أبواب البيوت ، وأبواب المحلات التجارية لشل الحياة وتعطيلها ، وإزاحة أهلها الأصليين واقتلاعهم ، ونفيهم قسرا إلى الشتات ؛ تمهيدا لإحلال الطارئين

محلهم " أبواب المحلات والدكاكين والمنازل التي هجر أصحابها منها بالإسمنت، فيما خنقت الشبابيك والأبواب بالطوب، ... لحبس الذكريات... وأتساءل للمرة الأولى عن أصحاب هذا المنزل الفخم الذي يبدو كسييرا على يمين مسجد الاستقلال، أين أصحابه الآن؟ وأين أحلام مراهقاته وألعاب أطفاله؟ ثلاث طبقات من الحجارة العمياء حزنا. أين فراشه الدافئ؟ وأين ملابس العذراوات الفلسطينيات؟ وأين صندوق أسرارهن الذي أصبح مرتعا للعاهرات الرخيصات ومستمني الليل؟ أين رواد شرفته المتمايلة نحو البحر؟ وأين سمر الجميلات ومرتدي القمباز والتطريز؟ تحت أي سقيفة في مخيم أصبحوا؟ إنه سؤال العدالة يا وحيد! منازل كثيرة غيره في الأزقة والحواري الباردة الآن، شبابيكها وأبوابها مغلقة بالطين" (الشرفا ، 2017 ، 88) بعد حملات التهجير القسري التي دفعت الأطفال والنساء والرجال بأزيائهم التي كانت تفصح عن انتمائهم لفلسطين وثبتت هويتهم – دفعتهم إلى ركوب البحر باتجاه المجهول بحسب شهادة الطبيب بشارة الذي قال " أنظر نحو البحر وأستعيد صراخ الأطفال والعباءات والكوفيات الفلسطينية التي ركبنا هذا البحر نحو المجهول والعذاب والوحل والبرد والمذابح " ( الشرفا ، 2017 ، 83)

2-التشظي :

يعد التشظي أو التبعثر على مستوى المكان والشخصيات من أبرز تمثيلات الشتات من بعد الاقتلاع ؛ فالوحيد فُجع بفقد أبيه وهو الرابعة من عمره ، بعد أن قتله جنود الاحتلال عند أحد الحواجز العسكرية " قال أحد سكان القرية قبل يومين أوقف الجنود الذين احتلوا مدينة نابلس شخصا عائدا من المدرسة، أوقفوه وقتلوه. روى أحد المارة من قرية مجاورة، أن الجنود أوقفوا الرجل أمام المدرعة الحديدية، وطالبوه برفع يديه عاليا، بعد أن أخذوا كتيبه، وعندما رفع يديه صوب أحدهم من بعيد رصاصتين إلى صدره، فسقط على الأرض، وبدأ ينزف. انتظر الجنود حتى العصر، وطلبوا من اثنين من الموقوفين أن يحفرا قبرا إلى جانب الشارع الرئيس المؤدي إلى المدينة بين مدخل المدينة ومدخل معسكر الجيش يبعد القبر تماما نحو ثلاثة أمتار. طلب الجنود منهما أن يدفناه... سيكون هذا القبر المجهول وهذا الشهيد المجهول هو أبي... وسيقول الناس في القرية المجاورة أن هذا المدرس هو ابن سليمان الصالح المهجر من حيفا من قرية عين حوض والذي جاء إلى أم البساتين وبنى بيتا يشبه بيته في عين حوض وأصبح منذ تلك اللحظة الابن الوحيد للشهيد المجهول " ( الشرفا ، 2017 ، 16-17) وبهذه الفاجعة الصادمة ازداد تشتت شمل عائلة الوحيد مرتين : الأولى بتهجير جده من قريته ، والثانية بمقتل والده ودفنه على جانب الطريق ؛ وليس إلى جانب قبور أجداده قرب منزله في عين حوض أو مع ضحايا الاحتلال في مقبرة الاستقلال المخصصة لدفن الفلسطينيين ، وسرعان ما تسبب خوف أمه عليه من أن يقتل كما قُتل أبوه بتشتت آخر " سأعادر المدينة التي ولدت فيها وأحببتها بشكل مهدد " ( الشرفا ، 2017 ، 34) حين ألحت أمه على جده لإبعاده عن قريتهم ، وإرساله إلى انكلتر لإكمال دراسته ؛ متحملة ألم فراقه عنها ، ولوعة اشتياقها إليه " عمي أترجأك يا عمي ، ما بدني إياه يرجع مثل أبوه !" – مش فاهم يعمي – خليه يسافر ويدرس بعيد – إنت بتقدري على فراقه ؟ بُعد كم من سنة أفضل من أن يموت صدفة ، ويعود إلي محمول " ( الشرفا ، 2017 ، 30) وسيكتشف الوحيد بسبب خوف أمه الشديد عليه تشتت أحواله من قبل في بلاد الغربة ، ويظل يسترجع حوار أمه هذا مع جده بعد تمكّن الأخير من ترتيب سفره إلى خاله " لن أنسى هذا الحوار ، وسأعرف أكثر عن أحوالي الذين يعيشون في بلاد الغرب ، يعيشون ويدرسون ويموتون، وأنهم يحبونني حبا جما. وسأثورط ساعتها برعب جديد لحكاية جديدة؛ وهي اختيار الحنين والغربة في مواجهة «احتمال الموت». وهذه الأم المسكونة بهوس الخبر السيئ والمفاجأة، وكيف كانت تخفيني في شالها الأسود الطويل عندما كانت تتحرك داخل المدينة، وتسهر إلى جانب فراشي؟ ما هذه الأم التي تختار وجع الفراق أمام احتمال الموت؟! " ( الشرفا ، 2017 ، 31) ولم يدر في خلد الوحيد بعد هذا كله أنه على موعد مع تشتت آخر ، حين حاول في مواجهة دموية مع شرطيين إسرائيليين استرجاع شاهد بيت جده المهجر من حيفا ، وانتشاله من التنديس بالبول والبراز ، وانتهاء محاولته بمقتل أحد الشرطيين ، ورمي الوحيد في سجن الدامون بعيدا عن ابنته وزوجته " سأنظر كلما صحوت كأنني كومة من العظام من زاوية زنزانتي الرطبة في سجن الدامون... بعد أن تحولت إلى قاتل بشع، " ( الشرفا ، 2017 ، 28) ليعيش هو وعائلته حالة جديدة من التشظي والتشتت " أكثر من أربعين عاما وأنا أعيش بين ذكرى القبرين وحكايات البيتين ستكون ليلى وحيدة

الآن، في بيتي الذي يفصلني عنه بحر ومحيط، تنام على سريرها الأبيض، تعتقد أنها تنتظر والدها الذي ذهب ليطمئن على صحة جدتها التي لم ترها . ستبقى ليلى وحيدة، وربما تسمع خبر إعدام والدها القاتل. ولن أعود إلى ريكا المرأة الوحيدة التي ألحت علي بالحب، والمرأة الوحيدة التي لمستها في حياتي،" ( الشرفا ، 2017 ، 18 ) ولم يتمكن من الوصول إليها حتى في أحلامه الكابوسية "سيفاجني حلم غريب ستنام ريكا إلى جانبي سأجهد لملامستها واحتضانها ، لكن قوة غريبة ستبعدها عني دون ان تأخذها مني ، وسأحاول الالتصاق بها فعلا ، لكن عند هذه الدرجة ستبتعد دون أن تذهب " ( الشرفا ، 2017 ، 52 ) في نبوءة استباقية لم يتأخر تحققها على أرض الواقع ، بعد أن وجد نفسه بين جدران سجن الدامون وحيدا ، وكلما حاول كسر طوق وحدته بالتذكر واستحضار أحبه الذين أبعد عنهم سارع السجان إلى قطع سلسلة تذكره ، وأعادته إلى وحدته بتكرار الطرق على الباب الحديدي لزنزانتة " سيطرق كل من يمر من أمام الزنزانة الباب برجله ، حتى لا يسمح لك بالتذكر ولقاء ذاك وذوات محبيك " ( الشرفا ، 2017 ، 46 ) ومع كل طريقة ستطرق سمعه شتيمة تقاوم من محنة عزلته ووحدته " مرة أخرى يطرق الجندي الباب الحديدي بضغ طرقات ، ويصرخ «عربي قدر» " ( الشرفا ، 2017 ، 57 ) وإذا ما حاول النوم طمعا في كسر عزلته بلقاء أحبه في المنام صرخ به السجان وأرقه بقوله " اصح يقاتل " ( الشرفا ، 2017 ، 38 ) إمعانا في التفنن بتعذيبه بشتى الأساليب التي تزيد في عزلته .

### 3- الحنين والتذكر :

والملمح الثالث من سردية الشتات يتمثل في النزعة الأصلانية ، المتمثلة في الحنين إلى الممارسات الوطنية الأصلية ، والرغبة في العودة إلى التراث والأشكال الثقافية كما وجدت في مجتمع ما قبل الكولونيالية ( سعيد ، 2014 ، 86 ) وتذكر تفاصيل الحياة اليومية ؛ وإعادة سرد الآباء لها على الأبناء ؛ بوصفها ذاكرة تعمل على إثبات الوجود ، وتثبيتته بالضد من محاولات المستعمر الساعية إلى محوه ، وطمس ملامحه ( أشكروفت ، 2010 ، 250 ) لأن الأمم مروييات وسرود ، وأن السرد لم يكن " مجرد مسألة قص محايد للوقائع " ( سعيد ، 2002 ، 94 ) وأن الهوية القومية متورطة باستمرار في سرد ماض الأمة ، وسرد أجدادها المؤسسين ، وسرد الوثائق والوقائع الأصلية ، وغيره . " ( سعيد ، 2002 ، 94 ) ومن هنا تناوبت الأجيال على فعل التذكر / السرد ، وظل جيل بعد جيل يحرص على ذلك .

إذ حرص جد الوحيد على ذلك ، وظل يعيد على مسامع حفيده باستمرار سرد حكايات الأجداد والآباء فضلا عن حكاياته " سأعيش على حكايات جدي سليمان ..أركب خلفه على الحصان...سأحدثني عن شجر الخروب الذي زرعه ليتذكر رائحة عين حوض في الصباح ... " ( الشرفا ، 2017 ، 20 ) وسيظل جد الوحيد يحكي له عن جده صالح ، وجده محمود ، وجده عبد الرحيم الذين قطعوا الحجر قطعاً قطعاً ؛ ليبنوا بيتهم الحجري في عين حوض ، وكيف أنهم زرعوها في ناحيته الجنوبية أشجار الصنوبر والخروب ، وكيف ذبحوا ثلاثة رؤوس من الماعز وأقاموا الوليمة لأهل عين حوض بهذه المناسبة ؛ لأن " الهوية السردية عملية تحريك ثقافي تمارسها جماعة ضد أخرى لتمثيل الصراع السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي بينهما ( كاظم ، 2016 ، 79 ، 133 ) و سيتسمر في وصف البيت وشجرة الخروب ، وشجرات السرو الأربع التي زرعا جده صالح 1935 و " سيعيد الحكاية للمرة المليون " « في عين حوض لا ترى التراب من كثافة الأشجار ، ونبت العليق والتفاح البري خاصة وقت المطر ، والرائحة عند وادي بستان ووادي فلاح اللذين يمران إلينا من الدالية، رائحة لا يمكن وصفها عندما يعجن النهر الماء والزهر والتراب ، وستغرق أشعة الشمس في البحر ، وستعود من الجهة الشرقية، كما كان سيدك صالح يحدثني... " ( الشرفا ، 2017 ، 23 ) ليفكك بتكرار سرد هذه الحكاية الكذبة الصهيونية التي زعمت أن أرض فلسطين كانت صحراء قاحلة ، بلا شعب لشعب بلا أرض ، وأن اليهودي هو الذي سيعمرها ، ويحولها إلى جنة خضراء بعد أن يعود إليها من شتاته ؛ لأن دحض هذه الرواية الصهيونية وتفكيكها ظل مرهونا بوصف علاقة الآباء والأجداد الفلسطينيين بأرضهم ، وتجليها في أحسن صورة من خلال مداومتهم على زراعتها بأنواع كثيرة من النباتات والأشجار المعمّرة ، وعنايتهم ببساتين البرتقال ومزارع الزيتون ؛ لتتحالف بأعمارها وأشكالها وأثمارها مع بقية الشواهد في الرد

على تلك المزارع وتقنيدها (هلسا، 1995، 18) وليتمكن جد الوحيد من تشكيل ذاكرة حفيده بسرد حكاياته وحكايات آبائه له ، وتعزيز انتمائه لأرض فلسطين التي زرعها أجداده " سأعيش على حكايات جدي سليمان...أمشي نحو تل البساتين..يزرعها جدي بالزيتون والعنب ويظل ينظر إلى بيتنا دائما " (الشرفا ، 2017 ، 20) ولا عجب بعد هذا أن تكون حكاية ولادة والد الوحيد أول الحكايات التي حكاها جده له ؛ ليكشف بها عن عمق جذورهم ، وانتمائهم لهذا المكان ، وهذا الوطن " ولد أبوك قبل احتلال عين حوض...كنت أضعه تحت شجرة الخروب التي انهار فيما جدارها الحجري فأصبحت جذورها مكشوفة بشكل طولي ، تقع هذه الشجرة عند الزاوية الجنوبية لبيتنا الذي يتوسط البلد نحو البحر ، زرع والدي هذه الشجرة مع بداية بناء البيت الحجري ، سيصف البيت وقد جلس ينظر غربا ، يلف البيت سور حجري قطعه جدك الكبير من الصخر حجرا حجرا وبابه على شكل قوس تدخل منه إلى ساحة حجرية...سيستمر في وصف البيت وشجرة الخروب ، وشجرات السرو التي زرعها جدي صالح 1935 بموازة الدرج الحجري...سوف أسمع تلك الحكايات ... سأكبر وسيكبر جدي وسأذهب إلى المدرسة وستغطي الأشجار تل البساتين وسيكبر شجر الخروب وسيظل جدي يعيد الرواية في طريق العودة إلى البيت " (الشرفا ، 2017 ، 20) لأن الأمم مروييات وسرود ، ووسيلة الشعوب المستعمرة في تمثيل هويتها الخاصة ، وأن سرود التحرير والتنوير هي التي حفزت تلك الشعوب على الانتفاض والانتعاق من تبعيتها للإمبريالية ( سعيد ، 2014 ، 58 ) ولهذا " سيعيد على مسامعي المشاهد قبل نحو خمسة وعشرين عاما وأنا في مدرستي...كنت وأنا استمع أركب خلف جدي وأطوق خصره بيدي...سيعيد الحكاية للمرة المليون " 21-22 ليفكك بهذا مزارع اليهود بأن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ، و " سيتحدث جدي عن العشاء في عين حوض ، وعن صوت العصافير وأزهار الكرمل ، وحديقة المنزل الخلفية التي ترك فيها نحو عشرين شجرة من الصنوبر ، والخروب والبلوط وقبوراً لثلاثة من أجداده ، هم جدي صالح ، وجده محمود ، وجده عبد الرحيم سيصف القبور وسيحدد لون حجارتها ونوعية التربة التي دفنوا فيها والشواهد " ( الشرفا ، 2017 ، 24 ) لأن الصراع الثقافي اللانهائي حول المناطق فهو صراع أكثر إقناعاً وتعقيداً ، وهو متورط لا محالة في ذاكرة وسرد وبني مادية متعاقبة. " ( سعيد ، 2002 ، 98 ) أي كل هذه التفاصيل الصغيرة ، يمكن لها أن تكون طرفاً داعماً في حسمه ، ورسم نهايته ، وتفكيك مزارع المستعمر وادعاءاته ، التي ذهبت إلى أقصى درجات التضليل والتلفيق والتحريف حين زعمت الكاتبة المجهولة جان بيترز في كتابها الذي أصدرته عام 1984 بأن الشعب الفلسطيني حكاية من حكايات الجن ، " وأن الوجود الواقعي لوالدي والأعمام والعمات والأجداد وعائلتي الممتدة بكاملها في فلسطين ليس له وجود في الواقع ، ولم يعيشوا هناك أباً عن جدّ ، وبالتالي ليس لهم حق شرعي في المشهدية الواضحة لبساتين البرتقال ، والزيتون التي أتذكرها من ومضات الوعي الباكرا " ( سعيد ، 2002 ، 104 ) .

ومن هنا لم تفت الوحيد فاعلية سرد ذكرياته للطبيب بشارة بعد أن توثقت علاقته به ، وتعرف إليه ، إذ حرص مثل جده على استرجاع تفاصيلها التي أراد المستعمر طمسها وتغييبها بكل ما أوتي ، ولكن من دون جدوى ، لأنّ الوحيد نجح في حفز صديقه بشارة على التحول من سؤال المحبة إلى سؤال العدالة ، وجعله حريصاً على سرد ذكرياته ؛ لتتحالف مع غيرها من الشواهد في دحض أكاذيب المستعمر ، وتسقط مزارع شعاراته " قال لي الوحيد في بلاد المحيط: « يا بشارة في مقبرة الاستقلال، حيث الشارع الوادع الذي يمشي عند قدمي جبلاً لكرمل، ويمد رأسه نحو البحر ويظل يمتد نحو حواري حيفا، وبذلك على وادي النسناس، في هذا الشارع كان محل جدي» وبأبيها الوحيد كان محل خالي هنا أيضاً، خالي القابع الآن في الصحراء والمنفى وقد جاوز الثمانين. أعرف الآن يا وحيد لماذا يصر خالي على أن أرسل له صورة لشارع (الاستقلال) في كل مناسبة، ولمنزله الذي تسكنه (ايلا)، المنزل ذو الشباكين المقوسين الذي يضرب موج البحر جدرانته؟ " ( الشرفا ، 2017 ، 83 ) ولهذا لم يتردد الطبيب بشارة وهو صاحب البطاقة الزرقاء ، ولا زوجة الوحيد ربيكا جونسون غير الموحدة – لم يترددا في المضي بطريق الوحيد وأجداده ؛ إيماناً منهم بفاعلية سرد الحكايات والذكريات في مقاومة محاولات المستعمر في ترويح أكاذيبه عن تاريخ الوجود الفلسطيني ؛ إذ قال بشارة " لأرطب فلسطينيتي فيما تبقى من النقاء الفلسطيني لغة وطعاماً ومقابر وشهداء تنوزع صورهم على جدران حارة الياسمين التي اخترقتها وحدي في تكرار للمشوار اليتيم الذي مشيناه أنا والوحيد...وظل الصباح مع الحجارة القديمة يرطب الروح..رائحة الحمص والفول

والخبز المحمص والنعناع مع الشاي ..صحن الكنافة ...استمر بالمشي وأحس بالوحيد إلى جانبي ،. اشترى الفستق والخبز الذي تختلط رائحته مع رائحة المكسرات المحمصة ، ورائحة القهوة في المطاحن القديمة ...الكنافة هنا حالة مهدئة وطقس من عشق المكان " ( الشرفا ، 2017 ، 107 ) فسرد كل هذه التفاصيل الصغيرة التي حشدها الوحيد وجده أولا ، وزوجته ربيكا في ملفها الذي ترجمه من الإنكليزية إلى العربية بشارة الطبيب – كلها كانت بمثابة معاول لتهديم صرح الأكاذيب الذي شيده المحتل ؛ بقصد نفي الوجود الكلي للفلسطينيين ، وتضليل الآخرين بمزاعمه التي لم تصمد أمام شواهد الواقع التاريخية .

#### النتائج :

بعد الانتهاء من قراءة خطاب ما بعد الكولونيالية في رواية ( وارث الشواهد ) لوليد الشرفا يمكن إجمال أهم النتائج التي توصلت إليها القراءة بما يأتي :

- 1- توظيف استراتيجية الهدم في تقويض مقولات الخطاب الكولونيالي ، وتفكيكه والرد عليها من خلال إعادة إنتاج صورة الذات والآخر على نحو مضاد لما كانت عليه في الخطاب الكولونيالي ؛ إذ بدا الوحيد مثالا للفلسطيني في النبوغ التفوق والنجاح واجتياز المراحل الدراسية بسرعة مذهلة ، ولاسيما في اتقان اللغة الإنكليزية تمهيدا للاستحواذ على الإدارة المهمة في الرد على المُستعمر ، والتخصص في التاريخ لإعادة قراءة الروايات التاريخية التي كانت سند المستعمر في احتلال وطنه .
- 2- توظيف استراتيجية الهدم في إعادة تشكيل صورة الوحيد على نحو ضمن تقويض مزاعم المُستعمر التي صورت الفلسطيني همجيا أسيرا لغريزته البهيمية ، وبلا ذوق ، ولا إحساس ، يجهل أهمية الفنون وفاعليتها في صنع الحياة وريقها ، وذلك من خلال تمثيل ثبات الوحيد في مواجهة الجمال الفاتن لكاتبة المسرح ربيكا جونسون قبل أن تصبح زوجته الوحيدة ، وصموده أمام إغراءاتها ، وعدم استسلامه لإغوائاتها ؛ مستعينا بأثره الأخلاقي وقيمه الرفيعة ، منتزعا إعجابها برهافة حسه ، ونبل أخلاقه ، وشدة اهتمامه وإلمامه بفن المسرح والموسيقى .
- 3- توظيف استراتيجية الرد بالكتابة بوصفها الوسيلة التي وظفها المُستعمر في تشكيل صورة المُستعمر من قبل ، وذلك حين طلب الوحيد من صديقه الطبيب بشارة بإعادة كتابة حكاية نضاله ضد المستعمر في استرداد شاهد منزل جده ؛ بوصف الشاهد ذاكرة تقاوم سعي المُستعمر إلى إسكات صوته ، فضلا عن طلب زوجة الوحيد ربيكا جونسون غير الموحدة من الطبيب بشارة بترجمة اللوحات الثلاثة ، التي كتبتها عن سيرة الوحيد من الإنكليزية إلى العربية ؛ لتكون أنموذجا للشهادة الآخر في إثبات براءة الفلسطيني من التهم التي حاول الخطاب الكولونيالي إلصاقها به .
- 4- توظيف سردية الشتات في تفكيك مزاعم الخطاب الكولونيالي من خلال تمثيل جريمة اقتلاع الشعب الفلسطيني ، وتشثيته بأساليب وحشية فظيعة ، لم تستثن إنسانا أو حيوانا أو نباتا من عدوانها ودمارها وخرابها ، ولم تدع مجالا للشك في بطلان كل الشعارات التي كان المُستعمر يتبجح فيها بإنسانيته وتحضره .
- 5- توظيف استراتيجية التذكّر ( تكرار سرد الحكايات ) في تفكيك مقولات الخطاب الكولونيالي ؛ بوصف الأمم مرويئات وسرود ، وذلك من خلال حرص الأجداد والآباء والأبناء والأحفاد على سرد حكاياتهم ، وتناقل تفاصيل حياتهم اليومية ؛ بما يدحض أكلوبة المُستعمر التي زعم فيها أن فلسطين كانت أرضا بلا شعب لشعب بلا أرض ، ولاسيما في استذكار زراعة أرضها بالأشجار المعمرة والمثمرة ، وبناء بيوتها ومحالها التجارية من الحجر ، وروائح أطعمتها ؛ ليكون ذكرها استراتيجية أخرى في مقاومة الخطاب الكولونيالي وتفكيك مقولاته.

- 1- القرآن الكريم .
- 2- أبو شهاب ، د. رامي ، في الممر الأخير – سرديّة الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كولونيالي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2017 .
- 3- أشكروفت ، بيل ، جاريت جريفيثز ، هيلين تيفين ، الأمبراطورية ترد بالكتابة – آداب ما بعد الاستعمار : النظرية والتطبيق ، تر خيرى دومة ، 2005 ، دار أزمنة ، ط 1 ، الأردن .
- 4- أشكروفت ، بيل ، جاريت جريفيثز ، هيلين تيفين ، دراسات ما بعد الكولونيالية – المفاهيم الرئيسة ، تر أحمد الروبي ، أيمن حلمي ، عاطف عثمان ، 2010 ، المركز القومي للترجمة ، ط 1 ، القاهرة .
- 5- تايسن ، لويس ، النظرية النقدية من التحليل النفسي إلى ما بعد الكولونيالية ، تر لحسن أحمامة ، 2021 ، دار التكوين ، ط1 ، سوريا .
- 6- حشمة ، د. لينا الشيخ ، قراءة تحليليّة تأويليّة في رواية «بدلة إنجليزية وبقرة يهوديّة» لسعاد العامري ، بوابة الهدف الإخبارية ، الانترنت ، الأربعاء 04 يناير 2023 ، 08:02 ، [post hadnews.ps/](https://post.hadnews.ps/)
- 7- سعيد ، إدوارد ، التلقيق ، الذاكرة والمكان ، تر رشاد عبد القادر ، مجلة الكرمل ، ع 70-71 ، 2002 .
- 8- سعيد ، إدوارد ، الثقافة والإمبريالية ، تر كمال أبو ديب ، 2014 ، دار الآداب ، ط 4 ، بيروت .
- 9- الشرفا ، وليد ، وارث الشواهد ، 2017 ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط 1 ، الأردن .
- 10- غاندي ، ليلا ، نظرية ما بعد الكولونيالية ، تر لحسن أحمامة ، 2021 ، ط 1 ، صفحة سبعة ، السعودية .
- 11- كاظم ، نادر ، الهوية والسرد ، درار الفراشة ، الكويت ، ط 2 ، 2016 .
- 12- كنفاني ، غسان ، في الأدب الصهيوني ، دار الرمال ، بيروت ، ط 1 ، 2013 .
- 13- لبيب ، الطاهر ، صورة الآخر - العربي ناظرا ومنظورا إليه ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1999 .
- 14- لومبا ، أنيا ، الكولونيالية وما بعدها ، تر باسل المسالمة ، 2013 ، دار التكوين ، ط 1 ، سوريا .
- 15- مارتن ، والاس ، نظريات السرد الحديثة ، تر د. حياة جاسم محمد ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ط1 ، 1998 .
- 16- هلسا ، غالب ، نقد الأدب الصهيوني – دراسة إيديولوجية ونقدية لأعمال الكاتب الصهيوني عاموس عوز ، دار التنوير العلمي للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 1 ، 1995 .
- 17- يعقوب ، أ. حلمي القمص ، كتاب النقد الكتابي: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها (العهد القديم من الكتاب المقدس) -

[الانترنت https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/435.html](https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/435.html)

## References

- 1-The Holy Qur'an.
- 2-Abu shihab , da. rami , The last passage - sardiat alshatat alfilastinii manzur ma baed kulunialii , almuasasat alearabiat lildirasat walnashr , bayrut , ta1 , 2017 .
- 3-Ashcroft, Bill, Gareth Griffiths, and Helen Tiffin. Post-Colonial Studies: The Key Concepts. Trans. Ahmad Al-Roubi, Ayman Helmy, and Atef Othman. Cairo: National Center for Translation, 2010, 1st edition.
- 4-Ashcroft, Bill, Gareth Griffiths, and Helen Tiffin. The Empire Writes Back: Theory and Practice in Post-Colonial Literatures. Trans. Khairy Douma. Jordan: Dar Azmina, 2005, 1st edition.

- 5-Tyson, Lois. *Critical Theory Today: A User-Friendly Guide*. Trans. Hassan Hamama. Syria: Dar Al-Takween, 2021, 1st edition.
- 6-Hashma, Lina Al-Sheikh. "A Feminist Analytical Reading of the Novel *An English Girl and a Jewish Woman*." Saad Al-Amiri, Al-Hadaf News Portal, January 4, 2023. [hadfnews.ps/post](https://hadfnews.ps/post).
- 7-Said, Edward W. "Commentary, Memory, and Place." Trans. Rashad Abdel Qader. *Al-Karmel*, no. 70–71, 2002.
- 8-Said, Edward W. *Culture and Imperialism*. Trans. Kamal Abu Deeb. Beirut: Dar Al-Adab, 2014, 4th edition.
- 9- Alshirfa, walid , *The Inheritor of Witnesses* , 2017 , al'ahliat lilnashr waltawzie , t 1 , al'urduni.
- 10-Gandhi, Leela. *Postcolonial Theory: A Critical Introduction*. Trans. Hassan Ahmad Hamama. Saudi Arabia: Dar Al-Tanweer, 2021, 1st edition.
- 11-Kadhim, Nader. *Identity and Narrative*. Kuwait: Dar Al-Farasha, 2016, 2nd edition.
- 12- kanfani , ghasaan , *Zionist literature* , dar alrimal , bayrut , t 1 , 2013.
- 13-Labib, Al-Tahir. *The Image of the Other: The Arab as Observer and Observed*. Beirut: Center for Arab Unity Studies, 1999, 1st edition.
- 14-Loomba, Ania. *Colonialism/Postcolonialism*. Trans. Basel Al-Masalmeh. Syria: Dar Al-Takween, 2013, 1st edition.
- 15-Martin, Wallace. *Recent Theories of Narrative*. Trans. Hayat Jassim Mohammed. Egypt: Supreme Council of Culture, 1998, 1st edition.
- 16-Helsa, Ghalib. *Criticism of Zionist Literature: An Ideological and Critical Study of the Works of the Zionist Writer Amos Oz*. Jordan: Dar Al-Tanweer Al-Ilmi for Publishing and Distribution, 1995, 1st edition.
- 17-Yaqub, Rahmi Al-Qass. *The Book of Literary Criticism: Schools of Criticism and the Doubts and Responses Raised against Them. The Old Testament from the Holy Bible* – Internet source.